



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية : العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم : التاريخ

الرقم التسلسلي:

رقم التسجيل:

عمران مدينة غرناطة في عصر السلطان محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

تحت اشراف:

د. سرحان عبد الحليم

إعداد الطلبة:

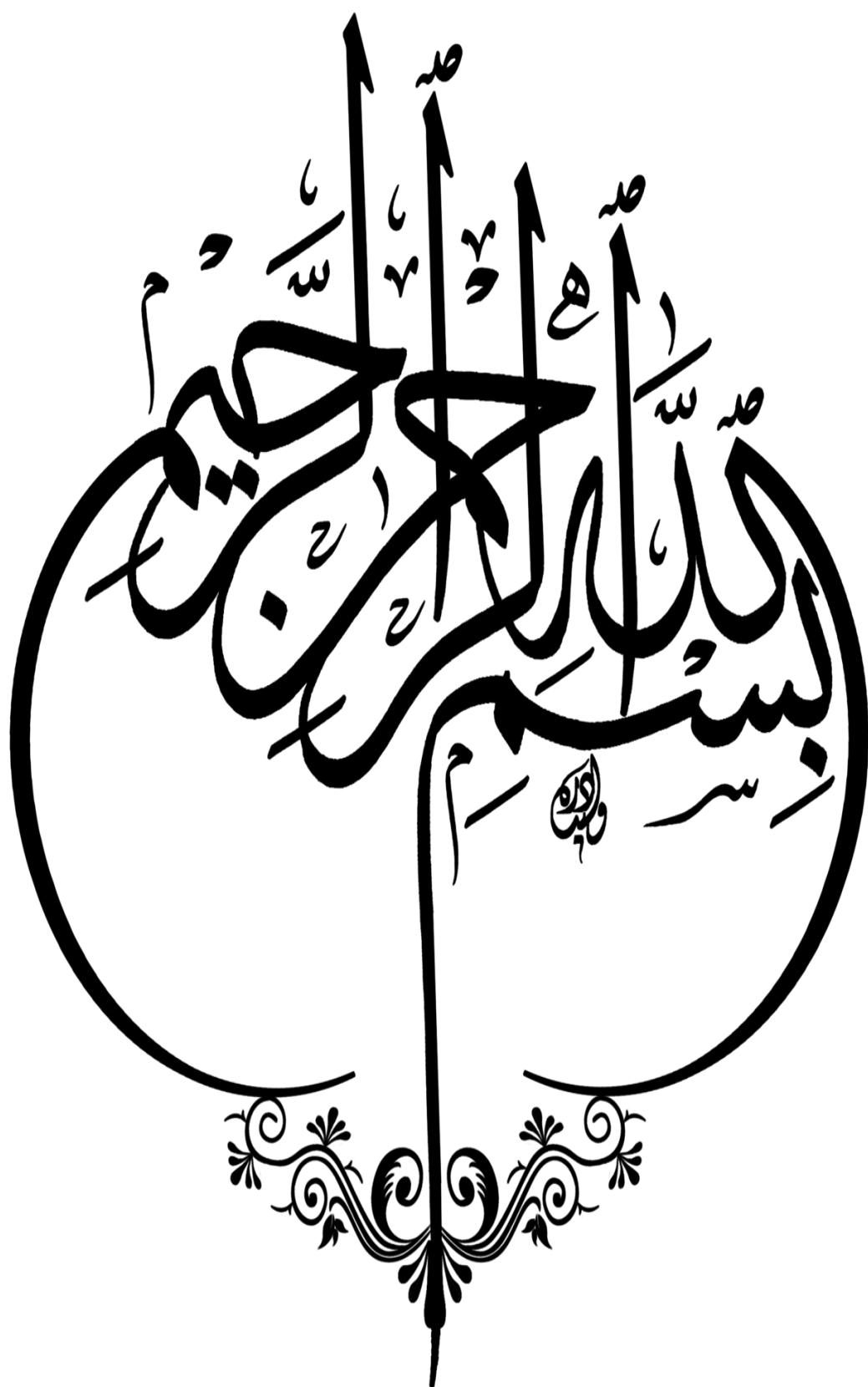
-عقوني فتحي

لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
د. الطاهر بونابي	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	رئيسا
د. سرحان عبد الحليم	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مشرفا ومقررا
د. محمد حصباية	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2026

1447 هـ 1448



مَشْكُورٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

أقدم بخزير الشكر وعظيم الامتنان إلى أسناذي المشرف الدكتور عبد الحليم
سرحان، على توجيهاته وإرشاداته المستمرة، وعلى نصائحه وملاحظاته
القيمة التي رافقتني وساعدتني في إنجاز هذه المذكرة.

كما أقدم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني وساندني في إنجاز
هذا العمل، وأخص بالذكر الأسناذة ب. ر، تقديراً لجهودها ومساعدتها
القيمة.

وفي الأخير، أتوجه بالشكر لكل من قدم لي يد العون، ولو بكلمة أو
نصيحة، وأسأل الله أن يجزيهم عني خير الجزاء.

الله المستعان والعاقبة للمتقين

إهداء

إلى روح أمي الطاهرة، رحمها الله،

إلى من رحلت عن عيني وبقيت في قلبي ودعائي، أهديكِ ثمرة هذا
الجهد

إلى أبي العزيز، سندي في الحياة، تقديراً لكفاحه وصبره وعطاءه.

إلى شريكة حياتي، رفيقة دربي، التي كانت دائماً إلى جانبي.

إلى ابني وابنتي، فرحة قلبي وأجمل ما في حياتي.

إلى إخوتي وأصدقائي، وكل من أحبني وساندني بكلمة أو موقف.

إليكُم جميعاً أهدي ثمرة سنوات من التعب، راجياً أن يكون هذا العمل بدايةً

لأيام أجمل.

عقوني فتحي

قائمة المختصرات الواردة في البحث

الرمز	المعنى
تح	تحقيق
تخ	تخصص
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
ج	جزء
د.ب	دون بلد
د.ط	دون طبعة
د.س	دون سنة
ط	طبعة
ع	عدد
ص	صفحة
ق.م	قبل الميلاد
مج	مجلد
مر	مرجع
P	صفحة

مقدمة

مقدمة:

شهد التاريخ الأندلسي على بقاء العديد من المؤلفات الضخمة التي ألفت في عهد بني نصر المعروف عهدهم بالازدهار الثقافي والحضاري خاصة مع وجود علماء ساهموا في ترك هذا الإرث المخلد لهذه الفترة من تاريخ الأندلس، وصوروها لنا من خلال نقلهم للواقع العام بها، وفي آخر معاقله غرناطة التي كان لها النصيب الأوفر من معالم ومآثر هذا التقدم فقد أصبحت مركز إشعاع حضاري معماري بلغ أوج عظمتها وما ساهم في ذلك هو ولع سلاطين هذه المملكة ومن بينهم محمد الخامس الغني بالله .

ونجد من بين المؤلفات الهامة الخاصة بهذه الفترة من تاريخ الأندلس خرج الى النور كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب الذي عايش أحداث الفترة التاريخية محل الدراسة في غرناطة وكان الأقرب لها في مجالها السياسي بحكم المناصب التي تقلدها. كما أن كتابه يشمل جوانب عديدة من تاريخها و جغرافيتها وتراجم أعلامها، ومن جهة أخرى يبرز عمران غرناطة في عهد بني الأحمر وفي هذا السياق جاءت دراستي بعنوان : العمران في غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة

وكانت **أهداف الدراسة** : التعرف على التراث المعماري في غرناطة آخر معاقل المسلمين في عهد محمد الخامس ، عرض مجموعة من المنشآت العمرانية في مملكة غرناطة وتوضيح مدى تطورها ، التعرف على خصائص الفن المعماري للمنشآت المختلفة في مملكة غرناطة في عهد محمد الخامس.

وللموضوع أهمية كبيرة كونه يسلط الضوء على آخر دولة إسلامية عرفت بإنجازاتها و اهتمام سلاطينها بتشييد بنايات مدنية وعسكرية ودينية وهندستها بزخارف ما تزال بعض آثارها قائمة شامخة إلى يومنا هذا

أما عن **دوافع** اختيارنا للموضوع فكانت لأسباب ذاتية تتمثل في القناعة الشخصية بأهميته وإيماننا بأن العمران يشكل جانبا مهما من التاريخ الإسلامي لجماليتها وأبعادها الروحية ، كما أن العمارة هي لسان حال المجتمع إضافة الى إثراء الرصيد المعرفي أما الأسباب **الموضوعية** فكانت الإطلاع على أنماط العمران في مملكة غرناطة في عهد الغني بالله دراسة عمران غرناطة في عهد محمد الخامس بشكل معمق ومفصل ومحاولة التعرف على أهم الإنجازات المعمارية في عهده ، محاولة إبراز خصائص ومميزات العمران في تلك الفترة ومن خلال بحثنا هذا ومحاولة منا لفهم الموضوع **طرحنا الإشكالية** التي تمحورت فيما يلي: إلى أي مدى ساهم كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة وما احتواه من تسجيل

أخبار ما وصله السلطان محمد الخامس الغني بالله من التشييد والبناء للوصول إلى ذلك المستوى الحضاري الرفيع، رغم الصعوبات والأوضاع السياسية لمملكة غرناطة في تلك الفترة.

وبغرض مناقشة هذه الإشكالية والتعامل معها ، طرحنا التساؤلات التالية:

-من هو لسان الدين ابن الخطيب ؟ وما هي آثاره العلمية ؟ وما أسباب تأليفه لكتابه الإحاطة ؟ وما هي أهمية هذا المؤلف الضخم ؟

-من هو محمد الخامس الغني بالله؟ وكيف كانت أوضاع مملكة غرناطة في عهده؟ وهل كان لموقع غرناطة تأثير على الازدهار الحضاري في عهد محمد الخامس ؟

-فيما تمثلت أهم العمائر في عهد محمد الخامس ؟ ولأي غرض بنيت العمائر التي خلفوها في المملكة؟ وللإجابة على هذه التساؤلات قسمت موضوعي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة فضلا عن قائمة المصادر والمراجع .

الفصل الأول المعنون بالتعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) في عهد محمد الخامس من خلال الإحاطة في أخبار غرناطة وهو كذلك مقسم لثلاث مباحث حيث قدمنا في المبحث الأول التعريف بلسان الدين ابن الخطيب حيث تطرقت لشخصية ابن الخطيب اسمه ونسبه ونشأته وعن أهم آثاره العلمية ومؤلفاته وأسلوبه ومنهجه محنته ووفاته، كما قمنا بدراسة لكتابه من حيث مدة تأليفه وأسلوبه ومنهج ابن الخطيب في تصنيفه له ، ثم تكلمنا عن الأهمية العلمية له استناد على آراء العديد من المؤرخين والباحثين وكان المبحث الثاني بعنوان غرناطة جغرافيا تحدثنا عن تسمية غرناطة وموقعها الجغرافي وأهم خصائصها الجغرافية والبشرية، أما المبحث الثالث تطرقنا لتعريف بمحمد الخامس وفترة حكمه والأوضاع السياسية والاقتصادية وحتى العلمية والفكرية لمملكة غرناطة في تلك الفترة

أما الفصل الثاني خصصناه لعمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب الإحاطة فجاء عنوان المبحث الأول تطور عمران غرناطة عبر العصور تكلمنا فيه عن مفهوم العمران و مراحل تطور عمران مملكة غرناطة عبر العصور وبالنسبة للمبحث الثاني فقد تطرقنا للمنشآت العمرانية في عهد محمد الخامس من خلال كتاب الإحاطة فقدّمنا أهم المنشآت المدنية التي شيدها محمد الخامس الغني بالله قصر الحمراء ومارستان غرناطة وكذلك أهم المنشآت الدينية والعسكرية وفي الأخير وضعنا خصائص هذه المنشآت وأنماط بنائها من حيث الزخرفة وطريقة البناء والمواد المستعملة في بنائها.

وقد اعتمدت في دراستي لهذا الموضوع عدة **مناهج**:

المنهج التاريخي: الذي يقوم على جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع ومقاربة نصوصها، ومناقشة الأحداث وتفسيرها قصد التحلي بالدقة قدر الإمكان.

المنهج الوصفي: وذلك من خلال وصف المنشآت العمرانية وطرزها وأشكالها ووصف قصر الحمراء وأجنحته.

المنهج التحليلي: الذي استخدمته من خلاله قياسي بتحليل واستخلاص المعلومات في وقائع وأحداث غرناطة في عهد محمد الخامس .

وفي دراستي لهذا الموضوع واجهتني عدة **صعوبات** لعل أبرزها استنباط المعلومات من الكتاب خاصة المتعلقة بجانب العمران في عهد محمد الخامس كذلك غياب الدراسات المتخصصة حول الموضوع ، وقلة المصادر التي تتحدث بشكل خاص عن غرناطة خاصة في جوانبها الحضارية حيث أن المؤرخين تحدثوا بغزارة عن الأندلس غير أنهم أهملوا غرناطة وعلى الرغم من الصعوبات التي واجهتنا ، فقد حاولنا قدر الإمكان جمع أطراف الموضوع من **المصادر والمراجع** الأساسية نذكر منها:

كان أكثر اعتمادي على كتاب **"الإحاطة في أخبار غرناطة"** بشكل خاص لكونه محل البحث والدراسة.

أما المصادر الأخرى فقد استعنت بها في كل ما يخدم الموضوع، وتكملة وتوضيحا لما جاء في كتاب الإحاطة، وتأتي في مقدمة هذه المؤلفات هي كتابات **ابن الخطيب** نفسه بعد كتاب الإحاطة ومنها:

"اللمحة البدرية في الدولة النصرية": وهو من المصادر المهمة التي لا غنى عنها في دراسة تاريخ دولة بني نصر، حيث تحدث فيه ابن الخطيب بصفة عامة عن مدينة غرناطة وتاريخ ملوكها وصفات أهلها والكثير من عاداتهم.

"فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب": للمقري، حيث يعد كتابه من المصادر الهامة في التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي لها إلى غاية سقوطها، كما أنه خصّ جزءا من كتابه لشخصية ابن الخطيب، وقد استفدنا منه في الكثير من صفات الأندلسيين وعاداتهم.

"العبر في ديوان المبتدأ والخبر": ابن خلدون كذلك أفادنا بمعلومات قيمة عن شخصية ابن الخطيب وأصله ونشأته .

"وصف افريقية والمغرب والأندلس" ابن فضل الله العمري: حيث يعد من المصادر المهمة في وصف غرناطة وخصائصها الجغرافية .

أما المراجع نذكر منها :

"غرناطة في ظل بني الأحمر" ليوسف شكري فرحات الذي تطرق للحقبة الأخيرة للوجود الإسلامي في آخر معاقله بغرناطة وقد أفادني في معرفة الحياة العامة بغرناطة وكذلك عمران غرناطة في عهد محمد الغني بالله خاصة في مظاهر العمارة النصرية .

"الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال" محمد عبد الله عنان وقد تطرقا في كتابه الى المنشآت العمرانية في غرناطة واستفدت منه في وصف قصر الحمراء .

"العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور" باسيليو بابون مالدوناندو من المراجع المهمة استفدت من في وصف المنشآت الدينية في عهد محمد الخامس .

أما فيما يخص بعض المذكرات التي كان لها دور كبير في مساعدتنا في معرفة أشكال الزخارف التي كانت في عمارة بني الأحمر وهي لزرقى نبيلة بعنوان الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط و الأندلس وهي دراسة تحليلية مقارنة.

الفصل الأول

التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب
الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

المبحث الأول: التعريف بلسان ابن الخطيب وكتابه الإحاطة

المطلب الأول: ابن الخطيب 713-776هـ/1313-1374م (اسمه ونسبه، نشأته ...)

1 -اسمه ونسبه:

لسان الدين ذو الوزارتين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن ولي الله الخطيب سعيد السليماني اللوشي المعروف ابن الخطيب (ت776) كان مولده سنة 713هـ.¹ كما يسمى لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، نسبة إلى سلمان أحد أحياء مراد القحطانيين .دخل جده الأندلس بعد الفتح ضمن عرب الشام .استقر أسلافه في البداية بقرطبة حيث عرفوا باسم بني الوزير ولكنهم اضطروا الى الهجرة عنها إلى طليطلة بعد حادثة الرض الشهيرة فمنهم من اختار الابتعاد إلى بلاد المغرب بينما اكتفى بعضهم الآخر بأماكن آمنة في الأندلس ومن هؤلاء أسرة ابن الخطيب.²

ويقول ابن خلدون : " أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة كان له بها سلف معدودة في وزارتها انتقل إلى أبو عبد الله إلى غرناطة واستخدم لملوك بني الأحمر ، ونشأ ابنه هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة المشهور يحيى بن هذيل ، وأخذ العلوم الفلسفية وبرز في الطب وانتحل الأدب.³ وله عدة ألقاب منها "لسان الدين" وهو من الألقاب المشرقية التي كانت شائعة في عصره، ولقب "الخطيب" نسبة إلى أسرته التي عرفت باسم (آل الخطيب) لكون جده سعيد كان خطيباً ولقب "ذي الوزارتين" لأنه جمع بين الوزارة والكتابة ولقب "ذو العمرين" لاشتغاله بتدبير الحكم في نهاره والتصنيف في ليله.⁴ وذكر المقرئ في الحديث ببني الخطيب وسعيد جده الأعلى أول من تلقب بالخطيب، وكان من أهل العلم والدين والخير وكذلك سعيد جده كان على خلال حميدة من خط وتلاوة

¹ محمد زين العابدين رستم: بيتوتات العلم والحديث في الأندلس ، ط1، دار الحزم ،بيروت، 2009، 92.

² لسان الدين أبي عبد الله محمد بن خطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مر بوزياني الدراجي ، ط1، دار الأمل، الجزائر، 2009م، مج1، ص12.

³ ابن خلدون: العبر في ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح : أبو صهيبي الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض ، دت ، ج4، ص 2010.

⁴ - لحلو سميان ومحمد مرتاض: البعد الديني في شعر لسان الدين بن الخطيب، الفضاء المغاربي ،م2، ع4، 2018م، جامعة تلمسان، الجزائر، ص99.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

وفقه وحساب وأدب خيرا صدرا توفي عام ثلاثة وثمانين وست مئة، وأبوه عبد الله كان من أهل العلم بالأدب والطب.¹

2-نشأته:

أما التربية والنشأة ففي دار الملك غرناطة، في حجر السعادة والنعمة وفي قصور الكرامة شب وترعرع نشأ على ما ينشأ عليه ذوو البيوتات الذين يجمع الله لهم بين رياسة الدين وسياسة الدنيا، فبكر به النبوغ ورافقه التوفيق فلم تأت السنة التي ودع فيها والده الحياة وهي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة ولم يكتمل لسان الدين من عمره الثلاثين حتى كان قال عن نفسه مات الوالد فخلفني عالي الدرجة شهير الخطة مشمولاً بالقبول مكنوفاً بالعناية، فقلدني السلطان كتابة السر ولما يجتمع الشباب ونستكمل السن معززة بالقيادة ورسوم الوزارة واستعملني في السفارة إلى الملوك واستتابني بدار ملكه ورمى إلى بخاتمه وسيفه وائتممني على صوان خزانته وذخيرته وبيت ماله و سجوف حرمه ومعقل امتناعه.²

درس في غرناطة وشغف بالعلوم الطبية والفلسفة وأقبل يدرسها على العالم المشهور بحي بن هذيل كما ظهرت برعته في قرض الشعر وتجلى علمه الواسع بالأدب العربي في سن مبكرة ، ولم يلبث ابن الخطيب بفضل مهارته وذكائه أن دخل الوزارة ونال حظوة كبيرة عند ملوك بني النصر أو بني الأحمر، فصار وزيرهم الأول في عهد أبي الحجاج يوسف الأول وابنه محمد الخامس الغني بالله ولم يقتصر نشاط ابن الخطيب السياسي على مملكة غرناطة فحسب بل امتد مؤثرا في سياسة دول المغرب وإلى جانب هذا النشاط السياسي، كان لابن الخطيب عقلية موسوعية استوعبت جميع أنواع المعارف والفنون المعروفة في عصره وفي هذا يقول هو نفسه:

الطب والشعر والكتابة سماتنا في بني النجابة³

تقلد ابن الخطيب خطة الكتابة للسلطان أبي الحجاج يوسف الأول النصري وفي ذلك يقول : "...وقلدني كتابة سره، مثناة بمزيد قربه...."، كما تولى ابن الخطيب الوزارة للسلطان المنو به آنفا وفي ذلك يقول: "...فأجرى لي الرسم ، وعصب بي تلك المثابة....".

¹ - المقرئ: أزهار الرياض في أخبار عياض، تح مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م، ج1، ص187.

² - محمد بن أبي بكر التطواني: ابن الخطيب من خلال كتبه ، دار الطباعة المغربية، تطوان ، 1954م، ص39.

³ - أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت، دس، ص ص 336، 337.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

وعرف لابن الخطيب أبناءه وصفهم المقرري بأنهم كانوا رافلين (في حلل الجلالة، المقتفين أوصافه الحميدة وخلالهم، الوارثين العلم والعمل والرياسة، والمجد عن غير كلاله)¹.

3- شيوخه وتلاميذه:

أخذ لسان الدين ابن الخطيب عن الكثير من العلماء في عصره على اختلاف اهتماماتهم وقد أتى على ذكرهم في كتابه الإحاطة ذاكرة مأخذه عن العلم مرة، ولم يذكر أنه أخذ الفقه إلا عن أبي عبد الله بن الفخار البيري، وسأذكر من شيوخه من أخذ عنه الفقه أو من أشهر بالفقه منهم وإن لم يبين لنا ابن الخطيب ذلك بيانا شافيا، ولن أترجم لشيوخه الذين ذكر أنه أخذ عليه القراءات مثلا أو حفظ عندهم القرآن كأبي عبد الله بن الولي العواد أو تعلم صنعة الطب كأبي زكريا بن هذيل إلا إن كان ممن شهر بالفقه كذلك.²

إذ يقول مؤرخا لسيرته العلمية قرأت كتاب الله عز وجل على المكتب نسيج وحده في تحمل المنزل حق حمله تقوى وصلاحا، وخصوصية واتقانا ونغمة وعناية وحفظا وتبحرا في هذا الفن واضطلاعا بضرائبه واستيعابا لسقطات الإعلام الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن عبد الولي العواد كتبنا ثم حفظا ثم تجويدا على مقرئ أبي عمرو ثم نقلني إلى أستاذ الجماعة ومطية الفنون ومفيد الطلبة الشيخ الخطيب أبي الحسن القيجاطي فقرأت عليه القرآن والعربية وهو أول من انتفعت به، وقرأت على الحسيب الصدر أبي القاسم ابن جزي.³ وقد كان ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والأدب لا يساجل مداه ولا يهتدى فيها بمثل هداه.⁴

أما تلاميذه كانوا كثيرين، ولكن لم يحفظ الكل العهد فكثير منهم ناصبه العداء واجتهد في إيذائه ومن أشهر هؤلاء الوزير الكاتب أبو عبد الله بن زمرك الذي ورث مرتبة أستاذه من بعده، وكان له في الفنون المختلفة من لغة وآداب وأخبار وسير وتفسير إلى جانب اجتهاد وتصوف ورحلة وله شعر جيد، ومن تلامذته الطبيب العالم ابن المهنا شارح ألفية ابن سينا وابن جزي الكلبي وأبو محمد عطية بن يحيى.⁵

¹ - محمد زين العابدين رستم : مرجع سابق، 96.

² - عبد الرحمان راشد الحقان: **الفقه في حياة ومؤلفات لسان بن الخطيب**، بحث مقدم لندوة لسان الدين ابن الخطيب مجدد فكر التسامح و حوار الحضارات، فاس، (15-16 نوفمبر 2013)، ص28.

³ - محمد زين العابدين رستم: مرجع سابق، ص 94.

⁴ - ابن خلدون : العبر في ديوان المبتدأ والخبر ، تصدر سابق ، ص 2069.

⁵ - أحمد حسن مسبح : **لسان الدين ابن خطيب عصره بينته حياته وأثاره**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ص 44

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

4- **محنته ووفاته:** لما مات عبد العزيز وخلفه ابنه السعيد بالله ، ثم خلع وتولى المغرب السلطان أحمد بن إبراهيم ، وقد ساعده الغني بالله صاحب غرناطة مشترطاً عليه شروطاً منها تسليمه ابن الخطيب ، فقبض عليه المنتصر وكتب بذلك إلى الغني بالله فأرسل وزيره ابن زمرك إلى فاس فعقد بها مجلس الشورى وأحضر ابن الخطيب فوجهت إليه تهمة الزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة وأفتى بعض الفقهاء بقتله فأعيد إلى السجن.¹

ثم دس له رئيس الشورى سليمان بن دواد بعض الأوغاد كما يقول المؤرخ السلاوي من حاشيته فدخلوا عليه السجن ليلاً وخنقوه، وذلك في سنة 776هـ ثم دفن في مقبرة باب المحروق بفاس.²

5- آثاره العلمية وأهم مؤلفاته:

ترك لسان الدين بن الخطيب للمكتبة العربية تراثاً فكرياً متنوعاً، من فنون وأغراض أخرى بين سياسته وطب وتصوف وفقه وأدب ولكن للأسف الشديد ضاع معظمها بين حرق واتلاف للعديد من مؤلفاته، أضف إلى ذلك أنه كان يبعث بمؤلفاته إلى حيث الانتفاع بها والاستفادة منها والتعليق عليها³

ففي التاريخ ألف سبعة كتب تناولت تاريخ المشرق والمغرب والأندلس من أيام الرسول الكريم حتى أيامه في عهدي أبي الحجاج النصري وولده الغني بالله وهي: "الإحاطة في أخبار غرناطة: وهو أشهر وأضخم مؤلفات ابن الخطيب ويعد من أهم المصادر الأندلسية في التراجم والتاريخ وسأتي على ذكره فيما يلحق ذكر ابن الخطيب سبب تأليفه (الفتنة بسبب حبي فديته غرناطة).⁴

أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام وهو آخر مؤلف كتبه ابن الخطيب.

رقم الحل في نظم الدول: عبارة عن أرجوزة من نظم ابن الخطيب نفسه أهداها إلى السلطان المغرب أثناء إقامته بمدينة سلا في المدة التي قضاها منفياً.

طرفة العصر في دولة بني نصر: يقع في ثلاثة أسفار ويؤرخ بني نصر وهو مفقود .

¹- راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ج2، ص 707.

²- راغب السرجاني : مرجع سابق، ص 707.

³- أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص 242.

⁴- ذاكر عبد اللطيف عيوش: لسان الدين الخطيب وصوره البلاغية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم والتربية والإنسانية، ع43، جامعة بابل، 2019م، ص

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

الملحة البدرية في الدولة النصرية: كتاب مختصر لتاريخ بني نصر بغرناطة.

قطع الفلاة بأخبار الولاة: عبارة رسالة قصيرة في النثر وتدور حول ولاية المغاربة.

نفاضة الجراب في علالة الاغتراب: هو سجل مذكرات ابن الخطيب الشخصية عن المدة التي قضاها منفيا.¹

المطلب الثاني: دراسة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة

1- التعريف بالكتاب:

أما كتاب الإحاطة فهو الطائر الصيت بالشرق والمغرب، و المشاركة أشد إعجابا به من المغاربة وأكثر لهجا بذكره مع قلته في بلاد المشرقية وقد اعتنى باختصاره الأديب الشهير البدر البشتكي، وسماه "مركز الإحاطة في أدباء غرناطة وهو في مجلدين بخطه، رأيت الأخير منها بمصر وقال في آخره ما نصه هذا آخر ما أردت إيراده و فوفت أبراده، من كل طرفة وتحفة وفائدة أدبية ونادرة تاريخية في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ولما كان المعول عليه والباعث الداعي إليه ذكر أدباءه ومآثر علمائه، سميته "مركز الإحاطة بأدباء غرناطة"، والحمد لله أولا و آخر علقه لنفسه ثم لمن شاء الله تعالى من بعده بمنه وكرمه ومستهل صفر سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل انتهى وقد جعل كل أربعة أجزاء من الأصل في مجلد إذ هو في مجلدين كما سبق ونسخه الأصل في ثمانية مجلدات، فنقص في الأصل ثلاثة أرباع أو نحوها.²

كما ذكر كتاب الإحاطة موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بمدينة غرناطة الكتاب قسمان، الأول يشمل نشأة غرناطة وجغرافيتها وخططها وخواصها ومحاسنها، وذكر عادات أهلها ومعايشتهم وأزيائهم وجندهم وسلاحهم، وكثيرا من أحوالهم الاجتماعية لعهد ويقع في نحو 40 صفحة والثاني يشمل: سائر التراجم فيه ملوك عصره سواء في الأندلس أو المغرب أو اسبانيا النصرانية بدقة وإضافة، ويورد طائفة من تراجم الأعلام، الذين عاشوا في غرناطة أو وفدوا عليها في مختلف عصور الدولة الإسلامية مرتبين

¹ - مريم قاسم: لسان الدين بن الخطيب موسوعة حضارية، مجلة عصور، ع5/4، جامعة وهران، الجزائر، ديسمبر 2003، ص61

² - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1928م، 7م، ص106.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

على حروف المعجم وقسم الترجمة كل رجال إلى أبواب في تاريخ حياته ومناقبه وسائر أحواله ، وختم الكتاب بترجمة لنفسه.¹

2- تاريخ وطريقة تدوين لسان الدين لكتاب الإحاطة :

الكتاب لم يكتب دفعة واحدة فقد بدأ بجمعه قبل نفيه مع سلطانه الغني بالله سنة 761 هـ/1359م، واستأنف العمل فيه بعد عودته من المنفى سنة 763 هـ/1361م فراجع وزاد فيه فجعله في ستة مجلدات، وظل يضيف إليه وينقح فيه حتى عام 771 هـ/1370م ، تاريخ غزوة الغني بالله لأحوال مدينة إشبيلية التي كانت آنذاك في قبضة الإسبان وقد يكون زاد فيه بعد هذا التاريخ، ونرجح أن يكون انتهى من تأليفه سنة 772 هـ/1370م أي قبل فراره إلى المغرب²

وقد لا نغالي إذا قلنا ان ابن الخطيب قد اهتم في تدوين أخبار وطنه إلى طريقة أقل من وفق إليها ونهج سبيلها ممن كتبوا في أخبار البلدان ومناقب الأوطان ، فابن الخطيب لم يقتصر فيما جمع على سرد الحوادث وعرض التراجم وتسجيل ما أبادته الأيام من الآثار للتدبر والاعتبار، ولكنه وهو المفكر والمبتكر معاً، قد حمل ريشة الموفق المبدع فنقل صورة قطر وحياة أمة وتاريخ أجيال ، وجلاها أمام من تأخرت به الأيام فأصبحت مدنية غرناطة وكأنها مشاهدة بالعيان، وان تقدم بها الزمان واتى عليها ما صير غيرها في خبر كان.

فبعد الفصول التمهيدية التي رسم فيها المؤلف قاعدة المملكة في صورة أبان فيها عن عمق في التفكير وإدراك لقيمة ما هو جدير بالخلود ، وبأسلوب عجيب تولى بنفسه كشف القناع عنه في صدر الكتاب معلنا بأن ذلك الترتيب هو الذي انتهت إليه جبلته وصدقت في اختياره مخيلته فاختر ذكر الأسماء على الحروف المبوبة ، وفصل الأجناس بالتراجم المرتبة.³

وقد استعان لسان الدين في تأليف الإحاطة بمجموعة كبيرة من المراجع التاريخية والأدبية ، التي ذكر بعضها في بداية الكتاب منها: كتاب افتتاح الأندلس لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن قرطبة وكتابا أحمد بن محمد موسى الرازي : أخبار ملوك الأندلس والاستيعاب في أنساب أهل الأندلس ويعد

¹ - أنور محمود الزناتي : مصادر تاريخ المغرب والأندلس (المصادر، المراجع، الدوريات) ، ط 1، دار سحر للنشر، 2008م، ص 44.

² - يوسف علي الطويل : لسان الدين ابن الخطيب وكتاب الإحاطة ، مجلة عصور ، ع 5/4، جامعة وهران ، الجزائر ، ديسمبر 2003م / جوان 2004م ، ص ص 52 ، 53.

³ - ابن الخطيب : مرجع السابق، ص 70

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

أهم محرك قد يكون أنهض همة ابن الخطيب وأثار رغبته الى تأليف كتاب الإحاطة هو أبو عبد الله محمد بن جزى الغرناطي.¹

المطلب الثالث: أهمية الكتاب في الدراسة

إن كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة يصف أدق وصف التاريخ السياسي والأدبي والاجتماعي لمدينة غرناطة في الحقبة التي عاش فيها لسان الدين ابن الخطيب ، ويتحدث بإسهاب عن المراحل السابقة كما يسلط الضوء على أمور تتصل بالطبيعة والأرض وسماتها ومدينة غرناطة وجنانها وأنهارها ويرصد فيه ابن الخطيب تاريخ المدينة ويصفها وصفا دقيقا شافيا وواقيا ، وقد أجمع عدد كبير من كبار الدارسين والمؤرخين على أنه كتاب فريد بين كتب التاريخ في موضوعه وهو لا يقتصر عن التأريخ لمدينة غرناطة فحسب ولكنه عبارة عن موسوعة شاملة ونظرا للأهمية التي يمثلها الكتاب فقد اختصر عدة مرات من العديد من الأدباء والمشايخ.² ويعد أهم وأشهر وأضخم مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ويعد أهم المصادر الأندلسية في التراجم والتاريخ ، إلا أنه كتاب تراجم أكثر منه كتاب تاريخ كتبه ليقدم للقارئ تاريخا شاملا عن بلده غرناطة وصوره ساطعة عن كل ما يتعلق بمدينة غرناطة من أوصاف وأخبار.³

وقد رأى محمد عبد الله عنان أن رسائل ابن الخطيب في الإحاطة تمتاز بالأسلوب الرصين المشرق واللفظ الجزل المختار، ولابن الخطيب براعة خاصة في تخير الألفاظ وإبراز المعاني لا يجاريه فيها الكثيرون من أكابر الكتاب. ويمكن القول أن ابن الخطيب هو خير من أعطانا صورة واقية عن التاريخ الأدبي ، والسياسي والاجتماعي لغرناطة عبر عدة عصور.⁴

خلف لنا لسان الدين ابن الخطيب مؤلفات جمة وآثار قيمة في التاريخ والأدب والعلوم والطب.⁵

يعد كتاب الإحاطة من أهم المصادر التي ألفها ابن الخطيب من بين المصادر التي ألفها خاصة لما يشتمل عليه من أخبار وقد تنوعت بين أخبار خاصة بمدينة غرناطة و بين تراجم لمختلف الأدباء وما ورد عنهم من أخبار ممن عاصروه وممن سبقوه.¹

¹- محمد بن أبي بكر التطواني: مرجع سابق ، ص 51.

²- محمد سيف الإسلام بوفلاحة : مصادر ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة وأثرها على منهجه، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع 25، ديسمبر 2018، ص 174.

³- يوسف علي الطويل : مرجع سابق ، ص 61.

⁴- محمد سيف الإسلام بوفلاحة : إسهامات علماء الأندلس في خدمة التاريخ والتراجم، مجلة مدارات تاريخية، م 7 ، ع 1، مارس 2011، ص 371.

⁵- ابن الخطيب: الملحة البدرية في الدولة النصرية، تص و فه ، محت الدين ابن الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1347، ص 4.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

المبحث الثاني: غرناطة جغرافيا

المطلب الأول: الإطار الجغرافي لمملكة غرناطة .

1- تسمية غرناطة:

غرناطة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم النون ،وبعد الألف طاء مهمة ،قال أبو بكر بن طرخان بن بجكم : قال لي أبو محمد عفان الصحيح أغرناطة بالألف في أوله أسقطها العامة كما أسقطوها من البيرة فقالوا لبيرة ، قال ابن بجكم : وقال لي الشيخان أبو الحجاج يوسف وأبو عبد الله محمد : غرناطة بغير ألف: وقال معنى غرناطة رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد لحسنه بذلك ، قال الأنصاري : وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها ² . ويقول الإدريسي " مدينة أغرناطة محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المقصودة البيرة " ³ .

كما يقول الحميري أغرناطة مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلا وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة البيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة وهي اليوم مدينة كبيرة قد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة. ⁴

وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نزلتها كانوا يهود وكان عددهم آنذاك كبير إذ فاق في القرن التاسع ميلادي عدد المسلمين والنصارى معا و ذكرت لدى كثير من المؤرخين أنها سميت بشام الأندلس أو دمشق الأندلس فقد أطلق جند دمشق على كورة البيرة التي منها غرناطة اسم دمشق لما سكنوها، نظرا لشبهها لدمشق غوطتها الفيحاء غزارها أنهارها وكثرة أشجارها، وزد على ذلك أنه لما كثر العرب بقرطبة عام (125هـ/742م) قام والي الأندلس آنذاك أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (128-125هـ/742-745) بتفريقهم في البلاد، فأنزل جند دمشق الذين قدموا إلى الأندلس مع بلج بن بشر القشيري الذي ولي الأندلس عام (123هـ/740م) كورة دمشق لشبهها بها فأطلقوا عليها اسم دمشق. ⁵

¹ - علي كاظم محمد علي المصلاوي :بنية الخبر في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب 776هـ، مجلة الباحث م44، ع2، ج1، أفريل 2025، ص854.

² -ياقوت الحموي :معجم البلدان، . ط1 ، دار صادر، بيروت، 1991 ، ج4 ، ص191

³ - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (1422هـ -2002م)، م2، ص 570.

⁴ - الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار، تح :إحسان عباس، ط7 ، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1914 ، ص 45.

⁵ - سفيان صرصاق :الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوا زرتين لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن (8-5 هـ /11-14م)، مذكرة مقدمة لنيل الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف عبد العزيز، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011، ص 16.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

أما ابن الخطيب فذكر: يقال غرناطة ويقال أغرناطة وكلاهما أعجمي، وهي مدينة البيرة من أعظم كور الأندلس وتسمى في تاريخ الأمم السالفة من الروم سنام الأندلس وتدعى بقسطيلة.¹

2- الموقع الجغرافي:

يقول القلقشندي هي مدينة في جنوب الأندلس تقع في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة، حيث الطول إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، ومملكتها في الجنوب والشرق عن مملكة قرطبة وبينها وبين قرطبة نحو خمس أيام، قال و غرناطة في نهاية الحصانة وغاية النزاهة.²

موقع غرناطة من خطوط الطول والعرض يلاحظ أنه يقول هنا أن غرناطة مساوية في طول بأمر يسير لقرطبة و ميورقة والمريّة وهذا الكلام لا يفهم إلا إذا ذكرنا أنهم كانوا يتصورون أشبه الجزيرة مثلث وأن ساحة الشرق يسير في خط مستقيم من الشرق للغرب وهذا يستتبع تصور أن قرطبة و غرناطة والمريّة تقع على خط رأسي واحد تقريبا، ويقول أيضا أنها مساوية في العرض لاشبيلية والمريّة وشاطبة وطرطرشه وسراندنية³ تتمتع غرناطة بموقع هام، فهي من موسطة الأندلس كون الأندلس كانت مشتملة على موسطة وشرق وغرب، وعدها القزويني من معمر الإقليم الخامس وجعلها ابن سعيد ضمن الرابع المعتدل.⁴

وقدم ابن خلدون في مقدمته مفهوما بخص الإطار الجغرافي للمملكة حيث ذكر أن غرناطة تقع جنوب شرق الجزيرة الايبيرية، كما تنفتح حدودها الشرقية على البحر المتوسط، لتنتسج شمالا جهة المريّة، وتمتد جنوبا جهة جبل طارق وحدودها الغربية تنتهي عند سفوح الأسمر والمناطق التابعة لنهر الوادي الكبير.⁵ تقع غرناطة في الجنوب الشرقي للأندلس على الضفة اليمنى لنهر شنيل ويخترقها نهر خدره، ويحدها من الجنوب جبل شلير ومن الشرق جبل شلير ومدينة ألميرية عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبل شلير وتظلّلها الآكام العالية من من الشمال جيان ومن الغرب لوشة ونهر شنيل وتتمتع بموقع في غاية الحسن فهي على واد عميق يمتد من المنحدر الشمالي الغربي لجبل شلير وتظلّلها الآكام

¹ - ابن الخطيب، مرجع سابق، ص 11.

² - القلقشندي: *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1911، ج 5، ص ص 213، 214.

³ - حسين مؤنس: *تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس*، ط 2، مكتبة مدبولي، 1919، ص 559.

⁴ - سفيان صر صاق: *مرجع السابق*، ص 13.

⁵ - ابن خلدون: *المقدمة*، مؤسسة الإعلامي للطبوعات، بيروت، 1971، ص 171.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

العالية من الشمال والجنوب ويبلغ طول هذا الواد ثلاثة عشر ميلا ،ولهذا الوادي ريو تان كبيرتان يخترقهما نهر خدره ربوة من الجهة الجنوبية وهي ربوة الحمراء، وربوة في الجهة الشمالية.¹

المطلب الثاني: الخصائص الجغرافية لغرناطة

زخرت المصادر التاريخية والجغرافية والأدبية بوصف جمال غرناطة وذكر فضائلها فذكر ابن الخطيب أن موقع غرناطة الحسن جعلها قريبة من الاعتدال شامية في أكثر الأحوال، وقد خصها الله تعالى ببساتين رائقة وجنات لا نظير لها في اعتدال الهواء وعذوبة الماء.²

افتخر المؤرخون والجغرافيون والشعراء والأدباء قدماء ومعاصرين بجمال مدينة غرناطة وفضائلها وأشادوا بذكر محاسنها فجعلها ياقوت الحموي من أعظم مدن كورة إلبيرة وأحسنها ووصفها الحباري بقوله: وما أدراك ما غرناطة حيث أدارت الجوزاء وشاحها وعلق النجم أقرطه عقاب الجزيرة وغرة وجهها المنيرة ،ووصفها فضل الله العمري بقوله : مدينة غرناطة كبيرة مستديرة ،رائقة المنظر ،كثيرة الأمطار والأنهار والبساتين والشجر والفواكه.... وبها عيون كثيرة وأشجار مختلفة ألوانها وافتخر محمد عبد الله عنان بجمالها الطبيعي فقال يصفها : وكانت غرناطة أيام الدولة الإسلامية جنة من جنات الدنيا ،تغص بالغياص والبساتين الياضعة التي كانت لوفرة خصبتها وروعة نضرتها تعرف بالجنات ، فغرناطة تفضل كل مدينة بالأندلس في جمال منظرها واعتدال جوها فالنسيم الذي يهب عليها من جبال نيقاد الثلجية وتربتها منقطعة النظير في الخصوبة وقوة الإنبات .³

أما عن جبال غرناطة فكان يحيط بها ويخترقها سلاسل جبال ، كانت حماية طبيعية لمملكة في الكثير من الأوقات وأهمها جبل شيلر وهو أحد جبال باسم سير نيفاد sirra nevada ، واسم شيلر تحريف اسم اللاتيني القديم solorius أي جبال الثلج ، لشدة لمعانه لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج وبطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة ،ويقع في الجهة القبلية منها ويبلغ ارتفاعه 3471مترا

¹-ألبرت كالفرت :غرناطة وقصر الحمراء وصف لمدينة غرناطة القديمة وقصورها"، تر : أحمد إبيش، ط1 ، دار الكتب،

الإمارات، 2020، ص 10.

²- ابن الخطيب: المصدر السابق ، 29.

³- مريم قاسم الطويل : مملكة غرناطة في عهد زيري البربر (403-473هـ/1090-1012م)، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1994، ص33.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

كما كان يوجد جبل طارق Gibarltar واسمه نسبة إلى طارق بن زياد وقبل الفتح الإسلامي أطلق عليه أسماء عديدة وأهما الفينيقي calpe ومعناه تجويف حيث كان يطلق على مغارة كبيرة في هذا الجبل.¹

ووصفها ابن فضل الله العمري : مدينة غرناطة مدينة كبيرة مستديرة رائعة المنظر كثيرة المطار والأنهار والبساتين والشجر والفواكه وبها عيون كثيرة وأشجار مختلفة ألوانها.²

أما عن الأنهار في مملكة غرناطة فكان يخرقها عدد كبير من الأنهار : منها نهر الوادي الكبير الذي يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى أهمها نهر شنيل Genil وهو النهر الذي تقع عليه العاصمة غرناطة وينبع من جبل سيرانيقاد. ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب العاصمة غرناطة ويخرق غرناطة فرع نهر شنيل و هو مسمى بنهر حدره derra، ويلتقي النهران جنوب غرناطة وتشرف غرناطة من الجنوب الغربي على بساط أخضر وافر الخصب هو مرج أو فحص غرناطة الذي يمتد غربا حتى مدينة لوشة.³

وجاء في وصف ابن بطوطة عند زيارته لها بقوله: غرناطة قاعدة الأندلس وعروس مدنها وخارجها لا نظير لها في الدنيا وهو مسيرة أربعين ميلا يخرقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهار الكثيرة والبساتين والجنت والقصور والكروم محدقة بها من كل جهة.⁴ وقال ابن سعيد " إنها وإن سميت دمشق الأندلس أحسن من دمشق لأن مدينتها مطلة على بسيطتها متمكنة في الإقليم الرابع المعتدل".⁵ تكثر المنحدرات الوعرة والصخور المنضدة عند سفوح الجبل الأسمر ،ويمكن للمسافر أن يجتاز البلاد سيرا على الأقدام من الشمال إلى الجنوب في عشرة أيام ومن الشرق إلى الغرب في ثلاثة أيام.⁶

وهي مسيرة أربعين ميلا يخرقه نهر شنيل المشهور وسواه من الأنهر الكثيرة والبساتين والجنت محدقة بها من كل جهة، وقال ابن الخطيب :وفحصها أي فحوص غرناطة ، الأفصح المشبه بالغوطة الدمشقية حديث الركاب وسمر الليالي قد دحاه الله في بسط سهل تخترقه المذانب وتخلله الأنهار والجداول، وتزاحم فيه الغرف والجنت في ذرع أربعين ميلا ،وتتخطى المحاسن منها مقدار رفعه الهضاب

¹ - هبة محمد عبده الحال : النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة (635-798هـ/1638-1492 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف عفيفي محمود إبراهيم ، كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة بنها، 2013م، ص 27.

² - ابن فضل الله العمري : وصف أفريقيا والمغرب والأندلس ، تح حسن حسني عبد الوهاب ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1339هـ، ص 34.

³ - هبة محمد عبده الحال : مرجع سابق ، ص 27.

⁴ - ابن بطوطة : رحلة بن بطوطة تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1 ، تح :محمد عبد المنعم العريان، ومصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م ، ج 1 ، ص 386.

⁵ - ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تح :شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1949م، م2، ص 102.

⁶ - يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط1، دار الجيل ، بيروت، (1413هـ-1993م)، ص 9.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

والجبال المترامية منه بشكل ثلثي دائرة قد علت منه المدينة فيما يلي المركز من جهة القبلة مستندة إلى أطوال سامية، وهضاب عليا ومناظر مشرقة، فهي قيد البصر ومنتهى الحسن ومعنى الكمال، وينزل الثلج شتاء وصيفا على جبل غرناطة وينبجس منه ستة وثلاثون نهرا كما تنبجس من سفوحه العيون .¹

وذكر بعض المؤرخين أن قرى غرناطة مائتان وسبعون قرية ومن أعمالها لوشة وهو قطر عظيم يحتوي على كثير من الحصون والقرى المزراع والى لوشة ينتسب سلف الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي يقول ابن خلدون فيه وناهيك به من شاهد.²

المطلب الثالث : الخصائص البشرية لغرناطة

1- التركيب العرقي :

يقول ابن الخطيب :أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سنة والنحل فيهم معلومة ومذاهبهم على مذهب مالك ابن أنس إمام دار الهجرة جارية، وطاعتهم للامراء محكمة وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة وأخلاقهم في احتمال المعاون الجبائية جميلة وصورهم حسنة وأنوفهم معتدلة غير حادة وشعورهم سود مرسله، وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر، وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها أعراب كثير وتغلب عليهم الإمامة وأخلاقهم أبيّة في معاني المنازعات، وأنسابهم عربية وفيهم البربر والمهاجرة³

أ- العرب والبربر :

من الأمور الأساسية والمنهجية التي انتبه إليها ابن الخطيب وهو يحاول إعطاء صورة عن المجتمع الغرناطي إشارته إلى العناصر المكونة له قائلا: (وأنسابهم عربية وفيهم من البربر والمهاجرة كثير). ولم يكتف ابن الخطيب عند ذكره للعنصر العربي بالإشارة إليه جملة، بل يذكر أن أغلب أنساب أهل غرناطة عربية وذلك راجع الى إنزال أبي الخطار الكلبي العرب الشاميين بهذه الكورة ، نظر في الوثائق الرسمية من مراسيم وظهائر وبيعات و إجازات فتقصى الأصول النسبية التي يتكون منها المجتمع عامة وذكرها مفصلة، يقول ابن الخطيب: (وأنسابهم حسبما يظهر من الاسترعات والبيعات السلطانية والإجازات عربية يكثر فيها القرشي و الفهري والأموي والأنصاري والأوسي والخزرجي) فيعد حوالي سبعة وسبعين أصلا عربيا ينتسب الى بطون مختلفة من جزيرة العرب، ثم يشير الى نسبها حسب الكثرة والقلة تدقيقا في

¹ - محمد كردي علي : غابر الأندلس وحاضرها ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، 2014م، ص 82.

² - شكيب أرسلان : خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1911 ، ص 21.

³ - ابن خطيب :اللمحة البدرية ، مرجع سابق ، ص27.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

الإحصاء كقوله: «ويقل من ذلك السلماي نسبة، وكالدوسي، والحواري، والزبيدي، ويكثر فيهم كالأنصاري، والحميدي، والجذامي، والقيسي، والغساني».¹

ب- **اليهود والنصارى:** تقادم إلى الأندلس أعداد كبيرة من اليهود وأصبحت لهم الأديرة ومراكز دينية وكانت لهم قرطبة في القرن الرابع هجري مدرسة دينية ذات شهرة واسعة، وظهرت جالية يهودية في قرطبة وغرناطة ومدن أخرى.²

ثم انه اهتم بذكر النصارى في احد فصول مقدمة الإحاطة وهو (ذكر من آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز والاختصار) حيث أشار فيه الى دورهم الخطير داخل الدولة الإسلامية ثم يذكر إفتاء القاضي أبو الوليد بن رشد الجد بإجلائهم عن الحضرة وتغريبهم شذر مذر في ظل الدولة المرابطية الفتية .

ج- المولدون والمدجنون:

لقد ارتبط الكثير من العرب والبربر مع السكان الأصليين في الأندلس بالمصاهرة، وعاشوا جميعا متجاورين متحابين ومتساوين، الأمر الذي أدى انتشار الإسلام في هذه البلاد وأطلقوا على السكان الأصليين اسم (عجم الأندلس) ثم انطلقوا على الذين أسلموا منهم اسم (الأسالمة أو المسالمة)، ثم أطلقوا على أولادهم الذين نشأوا على الإسلام اسم المولدين ثم تلاشت التسمية أخيرا بسبب اختلاط الناس، وتحول الجميع الى شعب أندلسي واحد دون تمييز.³

وقد اشتملت مدينة غرناطة على أحياء الأمراء والأغنياء، وكانوا يسكنون دورا فسيحة وقد تحدث لسان الدين في كتابه الإحاطة عن معالم التقدم والعظمة اللذين بلغتها غرناطة فأعطانا صورة لعصره انطبعت مظاهرها على حياة الناس وطرق معيشتهم في جميع نواحي السياسية والاقتصادية والثقافية، وكان المستوى المعيشي لسكان دولة غرناطة عاليا جدا حيث كان دخل الفرد الغرناطي مرتفعا فبلغ المجتمع الرخاء والترف شأوا كبيرا.⁴

¹ - رابع عبدالله المغراوي: تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب، حوايليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 20، الكويت، ص 51، 53.

² - 4-عمرتوفيق إبراهيم: صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجر (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص 165.

³ -خاشع المعاصيدي: تاريخ الدول العربية في الأندلس (92-897هـ/711-1492م)، منشورات جامعة بغداد، بغداد، 1988، ص 221.

⁴ - عبد الحكيم الذنون: آفاق غرناطة، ط1، دار المعرفة، 1944، ج2، ص44.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

2- العادات والتقاليد:

مما لا شك فيه أنه كانت لأهل غرناطة عادات وتقاليد خاصة بهم يعرفون بها الى جانب عادات أخرى قد يشتركون فيها مع كثير من المجتمعات الإسلامية آنذاك، ولعل أبرز عادة تميز بها أهل غرناطة حتى عدت في رأي ابن الخطيب من العادات المتميزة المتفردة، ربما لذيوها وانتشارها وسط شريحة اجتماعية واسعة، ما أشار إليه في هذا الوصف، يقول: (وعادة أهل المدينة الانتقال الى حلل العصير أو ان إدراكه).¹

وكان أهل غرناطة مضرب الأمثال في النظافة ، يبالغون بنظافة أبدانهم وثيابهم ، وفيهم من لا يكون عنده إلا قوت يومه فيطويه صائما وبيتاع صابونا يغسل به ثيابه وهم أهل تدبير واحتياط في المعاش وحفظ لما في أيديهم خوف ذل السؤال .²

وكانت عادة التسول من العادات القبيحة عندهم يقول صاحب نفع الطيب: (وأما طريقة الفقراء على مذهب أهل الشرق في الدروزه التي تكسل عن الكد وتحوج الوجوه للطلب في الأسواق فمستقبة عندهم الى نهاية، وإذا رأوا شخصا صحيحا قادرا على الخدمة يطلب سبوه وأهانوه فضلا عن أن لا يتصدقوا عليه فلا تجد بالأندلس سائلا إلا أن يكون صاحب عذر).³

أما فيما يخص الملابس التي كان يرتديها أهل غرناطة، فقد تأثرت هي الأخرى بالبيئة والوسط المترف، وهذا ما يؤكد ابن الخطيب، حيث يصف لباس أهل غرناطة فيقول " ولباسهم الغالب على طبقاتهم الفاشي بينهم، الملف المصبغ شتاء، تتفاضل أجناس البز من بتفاضل الجدات (الغنى) والمقادير (أي مكانة الانسان) والكتان والحريز والطن والمرعزي والأردية الأفريقية والمقاطع التونسية والمآزر المشفوعة صيفا فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المنفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"⁴

كما ذكر ابن الخطيب أن الغنى كان سائد في غرناطة وأن أهلها يميلون إلى الاقتصاد أما طعامهم الغالب فكان من القمح (البر الطيب) طيلة العام ، وربما عمد الفقراء وأهل البادية إلى أكل الذرة العربية والقطاني الطيبة في الشتاء كما كانت تتوافر لديهم أنواع متعددة من الفواكه المجففة طيلة العام كما كانوا

¹-ابن الخطيب: الإحاطة ، مرجع سابق ، ص 138.

²- سامية مصطفى محمد مسعد: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484 الى 620 هـ ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 ، ص 249.

³- سامية مصطفى محمد مسعد : مرجع سابق ، ص 249.

⁴- ابن خطيب : الإحاطة ، ج1، مرجع سابق ، 134

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

يدخرون العنب سليما من الفساد إلى شطر العام، كما كانوا يحفظون التين والزبيب والتفاح والرمان والبلوط و الجوز واللوز إلى غير ذلك .

أما حليهم فكانت القلائد و الدمالج والخلخل من الذهب الخالص عند الأغنياء ووصف ابن الخطيب نساء غرناطة بقوله أما حريمهم فهو حريم جميل موصوف بالسحر (الحسن) وطيب النشر (الريح الطيب) ¹.

المبحث الثالث : أوضاع غرناطة في عهد محمد الخامس

المطلب الأول: التعريف بمحمد الخامس

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجي أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه رحمه الله ² محمد الخامس الغني بالله بن يوسف الأول (755-794 هـ / 1321-1392م) وهو السلطان الذي ذكر لسان الدين ابن الخطيب أخباره مفصلة في كتابيه الإحاطة في أخبار غرناطة فوصفه بأنه (ايمن أهل بيته نقيية ، جمع الله حسن الصورة واستقامة البنية واعتدال الخلق وصحة الفكر ونفوذ الإدراك وحسن التأني ،وسلامة الصدر وسرعة العبرة وشمول الطهارة والعفة والكلف بالجهاد وقوة الجأش والبسالة وصحة العقد. ³

كان معدودا في نبلاء الملوك صيانة وعزا وشهامة وجمالا وخصلا عذب الشمائل، المثل المضروب به في الشجاعة المقتحمة حد التهور، مغرما بالصيد عارفا بسمات السقار، يحب الأدب ويرتاح إلى الشعر وينتبه على العيون أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه وهو يوم الثلاثاء. ⁴

إمارته الأولى: (755-760 هـ / 1354-1359م) جعل أمور الحجابة بيد رضوان حاجب أبيه كما أوكل شؤون الوزارة إلى لسان الدين بن الخطيب كاتب أبيه ،وفي السنة الأولى من تسلمه الملك أعلن السلطان ولاءه لملك قشتالة بطرس الأول وحرص على إقامة علاقة طيبة معه كما حاول أن يحافظ على صداقة بني مرين فأرسل ابن الخطيب في سفارة إلى فاس (755هـ/1354م) حيث استقبل بحفاوة وفي عام 759هـ/1358 وقع خلاف بين مملكتي قشتالة وأرغوان فوقف محمد الخامس إلى جانب بطرس الأول وأرسل ثلاث فرق لمساعدته ووضع قواعده البحرية بتصرف الأسطول القشتالي وجهاز فرقة من الفرسان

¹ - محمد عبده حتمالة: الأنندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000، ص 1083.

² - ابن الخطيب، الإحاطة، مصدر سابق، ص 548.

³ - محمد عبده حتمالة ، مرجع سابق، ص 584.

⁴ - ابن الخطيب الإحاطة ، المصدر نفسه ، 548.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

لمهاجمة الحدود الأراغونية لكن السلطان لم يستطيع تنفيذ مهمته فقد خلع في 28 رمضان 760هـ/1359م.¹

كان قد مضى خمس سنوات على ملكه عندما وقعت الفتنة التي أبعدته عن الحكم زهاء سنة ،ومفاد ذلك أن أبا الحجاج يوسف الأول كان قد رشح للأمر بعده ابنه إسماعيل ثم عدل عنه فرشح محمدا مكانه فلما صار الأمر إلى محمد حجب أخاه إسماعيل ومعه أمه و اخواته. وكانت الأم قد استولت على قسم من مال زوجها أبي الحجاج فوجدت السبيل لسعي لولدها فجعلت تواصل ابنتها زوج أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن عم السلطان وتحرضه على التوسط لخلع الغني بالله وتمليك ولدها، فاغتنموا غياب السلطان عن الحمراء فتسلقوا أسوار القصر ليلا وقتلوا الحراس وقتلوا الحاجب رضوان ثم أخرجوا الأمير إسماعيل وأعلنوا بيعته، فبلغت أصواتهم السلطان فراحه ذلك وهم بدخول الحمراء فألفاها محتلة فرجع أدرجه ولما بلغ الخبر إلى سلطان المغرب أبي سالم المريني غضب لخلع السلطان وقتل حاجبه فأرسل يطلب إلى إسماعيل المتغلب على غرناطة أن يسمح لأخيه المخلوع بالانتقال إلى المغرب وأن يطلق سراح ابن الخطيب فكان له ما أراد وانتقل ابن الحمراء إلى فاس وراح ينتظر فرصته لاسترجاع عرشه المملوك.²

إمارته الثانية : (762-794هـ/1361-1392م) تمكن السلطان محمد الخامس من الجلوس مرة أخرى على عرش غرناطة بمساعدة مملكة قشتالة وفر محمد السادس إلى إشبيلية فقتله الملك بدرو الأول (751-770هـ/1350-1369م) ، وأرسل برأسه للسلطان محمد الخامس ونعمت المملكة بالغنى والراحة و الازدهار والسلام ،وبعد الاستقرار في الداخل تمكن محمد الخامس في سنة 770هـ/1369م من استرداد الجزيرة الخضراء بعد أن ضرب المسلمين حول المدينة حصار برا وبحرا، انتهى بموقعة أهالي الجزيرة على التسليم مقابل الأمان³، وتبع ذلك فترة من الهدوء والاستقرار في غرناطة حتى وفاته سنة 793هـ/1391م.⁴

¹ - يوسف شكري فرحات، مرجع سابق ، ص 36.

² - يوسف شكري فرحات، مرجع سابق، ص38.

³ - وداد تلج كردي الحمداني ، سياسة الملك الصغير أبو عبد الله محمد بن الحسن وأثرها في سقوط غرناطة ، مجلة سامراء ، م 2، ع 21، جامعة تكريت ، العراق، 2010م، ص 52.

⁴ - محمد عبده حتاملة، مرجع سابق ، ص 590.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

المطلب الثاني: الأوضاع السياسية

إن الصراع من جهة والتنافس على الحكم بين أبناء بني الأحمر من جهة أخرى أربك الأوضاع السياسية، كما كانت علاقة بني الأحمر بسلاطين المغرب علاقة متقلبة يغلب عليها الحذر والامر حيناً، والتقرب والوفاق حيناً آخر، وكان عصر ابن الخطيب مليئاً بمظاهر الشقاق والنزاع بين أفراد الأسرة المالكة، فأودت بحياة بعضهم وتشريد بعضهم الآخر¹، فكانت مملكة غرناطة تقوم بأعباء هذا الجهاد الشاق محققة النصر من حين لآخر²، وبلغت ذروة قوتها في فترة السلطان أبي الوليد إسماعيل وولده السلطان أبي الحجاج يوسف الذي وصفه ابن الخطيب ببدر الملوك وزين الأمراء³. وعرفت هذه الفترة بالازدهار والرقى، فكان النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عصر القوة والفتوة وهو ألمع عصورها⁴

ففي عهد محمد الخامس توطدت العلاقات بين غرناطة وفاس مؤكداً بذلك لعري الصداقة في عصر أبيه، تولى هذه السفارة ابن الخطيب إلى فاس (755هـ / 1354م) حيث استقبل بحفاوة⁵.

وفي الجانب القشتالي فقد شهدت هذه الدولة فوضى سياسية كبيرة أعقبت وفاة ملكها ألفونسو الحادي عشر وما تلاها من لا استقرار حتى استتبّت الأمور لخليفته بيدرو الأول القاسي في هذه المرحلة بالذات شهدت مملكة غرناطة هدوءاً نسبياً مع بعض الحذر من عودة قشتالة إلى الساحة بعد استتباب الأمور رغم ما كان بينهما من عهود في عهد أبيه ألفونسو الحادي وعقد معه سلم على بلاد المسلمين⁶. أما على مستوى العلاقات مع الممالك النصرانية فشهد عصره كغيره من العصور مراحل شدّ وجذب ووافق وفتور في العلاقات، كانت بدايتها استئناف الغني بالله الجهاد ضدّ النصارى كون الممالك النصرانية لا تقوت فرصة الإغارة على أراضي المسلمين كلما سنحت لها الفرصة، ردّ الغني بزحف جيوشه على أحواز رندة الشرقية واستعادة حصنين هما برعة وجيرة من أراضي إشبيلية عام (768هـ/1367م) وغزا مدينة أطريّة شرق إشبيلية وتمكن من فتح حصن أشير استمرت الهجمات على

¹- ابن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، تح: محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص 10، 11.

²- محمد عبد الله عنان: لسان الدين ابن الخطيب "حياته وتراثه الفكري"، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.س)، ص 14.

³- ابن الخطيب: اللوحة البدرية، مرجع سابق، ص 102.

⁴- يوسف شكري فرحات، مرجع سابق، ص 45.

⁵- أحمد مختار العبادي: مرجع سابق، ص 423.

⁶- ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، مرجع سابق، ص 22.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

أراضي النَّصاري ففي عام (769هـ / 1368م) شنَّ الغني بالله حملة أخرى تمكن خلالها من فتح باغة قرب جيان ثم أبدة شمال شرقي جيان وفتحها عنوة¹.

إن سياسة محمد الخامس تجاه الدول المجاورة امتازت ببعد النظر ، مما جعل مملكة غرناطة بين الدول المؤثرة في مصائر الشعوب المغربية والإسبانية حتى أن محمد الخامس أقام علاقات طيبة مع ممالك مصر فأرسل سفارة إلى المملوك أشرف ناصر الدين (765هـ/1364م) حاملة الهدايا الثمينة وعقدت اتفاقيات تجارية مع الشرق الإسلامي ، إلا أن سياسة الممالك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين لم تكن لتهم بمشكلات الغرب بسبب انهماكها بقضايا الشرق، خصوصاً عندما عظم خطر المغول وعندما توفي محمد الخامس كان قد وصل إلى أوج عظمته ، وقد ترك مملكته تنعم بالغنى والراحة و الازدهار والسلام².

فقد توطدت العلاقات السياسية بين غرناطة والقاهرة فأرسل محمد الخامس الغني بالله رسالة من إنشاء الوزير ابن الخطيب إلى السلطان المملوكي يخبره فيها بعودته إلى غرناطة واسترجاع ملكه ، وأرسل السلطان الغني بالله إلى السلطان أبي الفتوح شعبان للتضامن من غزو النصاري في جزيرة قبرص في مدينة الإسكندرية ، وشن الجيش الغرناطي غزوة أخرى للانتقام لأهالي الإسكندرية³.
عُرف عهد الغني بالله بالعصر الذهبي حيث ظهر فيه بمظهر القوة التي لم تعرفه الأندلس منذ مدة، حيث ميّزه أيضاً رخاء العيش والدعة، وبوفاته عام 793 هـ دخلت غرناطة مرحلة من مراحل الانحلال السياسي الذي سمي بعصر الضعف الذي ميزه تولى الحكم سلاطين ضعاف حاول بعضهم إعادة مجد المملكة ولكن دون جدوى⁴.

¹ - محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص 149.

² - يوسف شكري فرحات ، مرجع سابق ، ص 40.

³ - عيده بن محمد عواجي عبد القهار ، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية (635-897هـ) ، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2005م، ص 126-128.

⁴ - توفيق محاسنة، الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، دار الثقافة، عمان، 1998م، ص 154.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية والفكرية العلمية

1- الأوضاع الاقتصادية:

كانت الرقعة الجغرافية التي تحتلها غرناطة تتميز بتنوع المناخ والتربة ووفرة المياه ما انعكس إيجابيا على منتوجاتها الزراعية بعد أن استغل أهل غرناطة طبيعتها فتقنوا بمهارتهم في تنويع المنتجات الزراعية اهتم سكان غرناطة بالزراعة التي كانت موردا رئيسيا لدعم اقتصاد هذه الدولة¹

كما تغنى ابن الخطيب بهذه الأرض في العديد من المواضع: "وهؤلاء السكان المهرة ببراعتهم استطاعوا فلاحة الأرض وزراعتها، وتربية المواشي، وغرس الحدائق، ونقلوا من مشرق والمغرب أنواع شتى من المحاصيل كالقطن والأرز وقصب السكر وغيرها²، ثم وصفها قائلاً: ومن كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة، ورعيًا بعد رعي طول العام، وفي عمالتها المعاد الجوهريّة من الذهب والفضة والرصاص والحديد والتوتية... إلى جانب ما تعطيه هذه الأرض الخصبة ذات الوديان والأنهار وتظلّلها الأشجار وتنتشر بها الجنائن الخضراء والمروج الخصبة والتي بها محاصيل مثل الزيتون والتوت والكروم وبعض الحبوب، كما اهتموا بطرق الري وتوزيع المياه وذلك بتنظيم قنوات الري³.

إلى جانب الزراعة كانت هناك الصناعة والتجارة فالإقتصاد الغرناطي كان أساسه الزراعة والصناعة والتجارة معاً، أي يصنع ما ينتج من الزراعة ويصدر الفائض منه إلى الخارج، فقد انتشرت كثير من الصناعات في مملكة غرناطة صدرت إلى الأقطار المجاورة، مثل صناعة الحرير بأنواعه المختلفة وقد أشار ابن الخطيب إلى تقدم صناعة الحرير بغرناطة فقال: وكفى بالحرير الذي فضلت به فخرا وقبيلة، وغلة شريفة، وفائدة عظيمة، تمتاز بها البلاد وتجلبه الرفاق، وفضيلة لا يشاركها فيها إلا البلاد العراقية⁴. كما وجدت صناعة دبغ الجلود ونقشها كذلك صناعة الخزف التي استعملت في تزيين القصور ويرجع ازدهار الصناعات المعدنية إلى وجود مناجم المعادن المختلفة في غرناطة، فقد انتشرت مناجم الحديد والفضة والرصاص كما وجدت مناجم الذهب⁵.

¹ - محمد حسن العيدروس: العصر الأندلسي " عصر النهضة في الأندلس الحياة الاقتصادية في اسبانيا الإسلامية، ط1 دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2011م، ص 38.

² - ابن الخطيب: اللّحة البدرية، مرجع سابق، ص 11.

³ - يوسف شكري فرحات، مرجع سابق، ص 141.

⁴ - ابن الخطيب، اللّحة البدرية، المرجع نفسه، ص 17.

⁵ - الحميري: الروض المعطار، مرجع سابق، ص 24.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

وذكر أيضا أن مداخل غرناطة السنوية الزراعية والصناعية كانت تفوق خمسمائة وستون ألف دينار كما أنه كان لوقوع مدنها على البحر المتوسط أن تعددت بها أنواع الأسماك والحيثان التي شكلت مصدر رزق وكسب لممتهني الصيد ومع وفرة غذاء أساسي لأهل المملكة في الآن ذاته¹ ، ويرجع الفضل في ازدهار التجارة وتقدمها في غرناطة إلى وجود موانئ بحرية، أسهمت في تطورها، فتلك الموانئ كانت عامرة بالسفن المارة عبر البحر المتوسط إلى المغرب ومصر والشام والعراق والحجاز وآسيا الصغرى حاملة معها منتجات غرناطة وعائدة بكنوز المشرق ونفائسه.²

ولا ننسى ذكر نقودهم فقد كانت من الفضة الخالصة والذهب وظلت من حيث شكلها كما كانت في عهد الموحيدين مربعة وكانت عملاتهم الدينار والدرهم والقيراط وينقش على وجهي الدرهم " لا إله إلا الله محمد رسول الله " وعلى الوجه الآخر (لا غالب إلا الله، غرناطة).³

اعتبر المؤرخون عصر محمد الخامس مشابها لعصر عبد الرحمان الثالث (الناصر) الأموي ، فقد تقدمت الزراعة والصناعة والأسلحة والصوف والجلود والأدوية والعمود والأصباغ والخزف كما تقدمت التجارة وكانت أعظم موانئها المرية وأصبحت غرناطة مستودع التراث الأندلسي كما ازدهر الأدب وبرز في هذا الهد الوزير لسان الدين ابن الخطيب الذي سبق ذكره.⁴

2-الأوضاع الفكرية والعلمية :

فالحياة الفكرية والأدبية قد نشطت نشاطا ملحوظا ورفيعا في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي في غرناطة، وبرزت نخبة من العقول النيرة سواء من كتاب أو مصنفين أو شعراء أو علماء أناروا شموع هذا العصر كما كان سابقا.⁵ ومما ساعد على هذا الازدهار في غرناطة، ان ملوكها كانوا من مشجعي الأدب والعلوم، وكان بلاطهم يعج بالأدباء والعلماء على غرار قصور ملوك الطوائف.⁶

وبلغت النهضة الأدبية ازدهارها في عصر السلطان أبي الحجاج يوسف الأول وولده محمد الخامس فأبو الحجاج يوسف ذو همة وفطنة عالم وشاعر يحمي الآداب والفنون ويحترم رجال العلم والأدب، حتى زاد عدد الأعلام في مختلف الميادين الأدبية والفكرية⁷

¹ - ابن الخطيب ، الإحاطة ، ج1 ، مصدر سابق ، ص 133.

² - حدود داوود الحسين: لسان الدين ابن الخطيب " دراسة تاريخية " مذكرة لنيل شهادة الماجستير، اشراف :ادريس صالح الحرير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، (د.س)، ص 17.

³ - رابع عبدالله المغراوي، المرجع السابق، ص 77.

⁴ - محمد عبده حتاملة: المرجع السابق ، ص 590.

⁵ - ابن الأحمر الغرناطي: نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة، القاهرة، 1982م، ص 8

⁶ - جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1960 ، ص 58.

⁷ - علي محمد النقراط: ابن الجياب الغرناطي، الدار الجماهيرية، طرابلس، 2003 ، ص 71.

الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب

ومن الملاحظ في هذا العصر اهتمامهم الشديد وتوسعهم في تدريس القرآن الكريم بمختلف القراءات والروايات، فقسم من المجتمع الغرناطي في ذلك الزمن كان على صلة قوية بالأحكام الدينية الإسلامية والعلوم الشرعية وتطبيقها، ونشر الروح الدينية بين الناس في حماس ظاهر¹ ومن مظاهر الإصلاح الديني على عهد السلطان محمد الغني بالله ، رأبا للصدع وجمعا للكلمة وتوحيدا للصف ودفعاً للانحراف والزيغ وإصلاحاً لمظاهر الفساد ما أشار إليه الخطيب منوهاً بمناقب الدولة على عهده يقول : " ومن الغيرة على الدين وتغير أحوال الملحين من مآزق جهاد النفس ما وقع به العمل من إخماد البدع وإذهاب الآراء المضلة والاشتداد على أهل الزيغ والزندقة وقد أضاعت أرباب هذه الأضاليل الشريعة وسدت مضرهم في الكافة فيسلط عليهم الحكام ،واستدعيت الشهادات وأخذهم التشريد ".² ومما يدل على تشجيع العلم والحث عليه في ذلك العصر، إحضار المعلمين من القرى والمناطق المجاورة إلى العاصمة، وهذه الظاهرة قام بها الأمير (محمد الفقيه) ثم كانت في أيام أبي الحجاج يوسف وابنه (محمد المغني بالله).³

والجدير بالذكر ان الوزير ابن الخطيب قام بمجهود كبير في البحث عن العلماء والتتبيه عليهم ونقلهم إلى غرناطة، فقال عند ترجمته لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان القيسي ((:إلى أن نظرت في أمور الملك، فانتشلت من مهواه، ودلت البر على مثواه وأسنت له الجراية، ونشرت من تعظيمه الراية)).⁴

ومن العلوم التي اهتمت بها مدرسة غرناطة علوم اللغة والنحو⁵، كما لم يهمل أهل غرناطة العلوم الأخرى كعلم التاريخ والجغرافيا وعلم الفلك والطب والرياضيات، وظهرت شخصيات مشهورة دفعت بهذه العلوم إلى الامام، أمثال :أبي الحسن عليين عبد الله النباهي في حقل التاريخ وله كتاب (نزهة البصائر والأبصار) و(تاريخ قضاة الأندلس) وأبي البركات بن الحاج البلفيقي وله كتاب (تاريخ ألمرية) ولسان الدين ابن الخطيب الذي لمع نجمه في هذا المجال وألف العديد من المصادر أهمها (الإحاطة في أخبار غرناطة)⁶

¹ -محمد بنشريفية: من أعلام أواسط العصر الغرناطي، بحوث الملتقى الاسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة، 1989م، ص 34.

² - رابح عبدالله المغراوي، المرجع السابق، ص 64.

³ - محمد عبد الحميد عيسى: "تدخل الدولة في التعليم في الأندلس"، مجلة أوراق، المعهد الاسباني للثقافة، مدريد ع 3، 1980م، ص 67.

⁴ - ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيته في الأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.س)، ص 239.

⁵ - الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، 1967م، ص 60.

⁶ - يوسف شكري فرحات ، مرجع سابق ، ص 357.

الفصل الثاني

عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب

"الإحاطة"

المبحث الأول : تطور غرناطة العمراني عبر العصور

المطلب الأول: مفهوم العمران

تعريف العمران :

العمران لغة:

جاء في مقاييس اللغة " عمر العين والميم والراء أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره و من باب عمارة الأرض ، يقال عمر الناس الأرض عمارة وهم يعمرونها وهي عامرة معمورة ،محمول على عمرت الأرض والمعمورة من عمرت والاسم والمصدر العمران : واستعمر الله تعالى الناس في الأرض ليعمروها.¹

كما نجد العمران في اللغة منها عمر، والعمارة نقيض الخراب وعمر بمكان أي أقام به، والمكان العامر مكان ذو عمارة، وعرف العمران في الكثير من المعاجم في اللغة العربية، منها معجم المنجد في اللغة والآداب عرف العمران بالبنيان وهو اسم لما يعمر به المكان²

أما اصطلاحاً:

فالعمران في المفهوم الخلدوني كلمة عامة وشاملة، مضمونها واسع ومناحيها مختلفة ومتنوعة، وهي تشمل في محتواها جميع النشاطات البشرية وحركية المجتمعات المؤدية حتماً إلى النمو الحضاري المحصل للترف وكثرة النعم. أما العمران في مفهومنا الأثري فالمقصود به هو تلك الصورة المادية التخطيطية للمدينة ونسيجها المعماري المشكل لكيانها وهي الصورة المادية للعمران البشري، فيها تتجمع قوته الفكرية والروحية والمادية الإبداعية ومنها تنتزع إلى ما دونها حضارة وترفا وفكراً.³

إن الحديث عن العمران بمفهومه الواسع علينا إعطاء نظرة عن تعريف المدينة، إذ تعتبر كبنية معمارية تخضع لعوامل جغرافية في علاقاتها بالمحيط من ناحية المناخ وطبيعة الأرض.⁴ كما أن العمران

¹ - ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دط، دار الفكر، بيروت، ج 4، 1979م، ص 141.

² - احمد البدوي محمد الشريعي، دراسات في جغرافية المدن، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، 1995م ، ص 14.

³ - عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية عمرانية ومعمارية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراة العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2014-2015م، ص 52.

⁴ - Saidoni m- éléments d'introduction à l'urbanisme, histoire, méthodologie, règlementation, Edition casbah, Alger, 2000, p12.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

مجموعة من الإجراءات التقنية والقانونية والاقتصادية والاجتماعية التي تساعد على تطوير المجتمعات بشكل منسجم وعقلاني وإنساني .¹

ومن هنا يمكن القول إن مفهوم كلمة عمران أكبر بكثير من الاعتبارات لهيكل المسكن نفسه وأصبح هذا اللفظ يمتد ليشمل البيئة السكنية العامة المحيطة بها فيشمل المسكن وشبكة المرافق العامة والشوارع .² والعمارة من الإعمار والتعمير ، ويقال عمر الله بك منزلك عمارة وأمره جعله أهله ومكان عامر ذو عمارة ، ومكان عمير عامر والعمارة ما يصر به المكان .³

و يمكن تعريف التراث العمراني بأنه كل ما شيده الإنسان من مدن وقر وأحياء ومباني وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو اقتصادية أو تاريخية أو علمية أو ثقافية أو وظيفية، وفي هذا الصدد يرى " بوكوك pocos " أن المجتمعات منظمة بما يكفل استمراريتها فيقول إن الوعي بالماضي في حقيقته إنما هو وعي المجتمع باستمراريته ويدعو إلى التركيز على القوانين والتشريعات عوضا عن قراءة التاريخ كوسيلة لدراسة الماضي.⁴

ويتميز التراث العمراني بصورة جمالية وعناصر معمارية ذات قيمة مميزة فيمكن إن يحوي طرازاً معمارياً وزخرفياً ذات طابع محلي، ويعرف التراث العمراني بحسب اليونيسكو 1972 بأنه مباني وأثار أو معالم تاريخية أو مدن قديمة مأهولة أو غير مأهولة⁵، والمباني بكافة أنواعها التاريخية تعد بصمة واقعية مقروءة تعكس المنهج والتفكير الذي انتهجته تلك الأمم والذي حاولت عكسه طيلة فترات وجودها⁶.

ويعكس التراث العمراني حضارة المجتمع ومدى تقدمه، فهو أحاد أنواع المخزون المادي للتراث الثقافي في أي مجتمع من مجتمعات ويتمثل في كل ما شيده الإنسان من مدن وقرى ومناطق ومواقع ومبان وحدائق ذات قيمة أثرية أو معمارية أو عمرانية أو تاريخية أو ثقافية حيث أثبتت أصالتها في مواجهة التغيير الدائم في المجتمع وأصبحت تسجيلاً حياً ومرجعاً بصرياً يجسد علاقة الإنسان ببيئته، وقد عرف التراث العمراني في إعلان أمستردام عام 1975 م على أنه جزء من التراث الحضاري للعالم كله⁷.

¹ -M .obay، **Droit Administratif**، précis Dalloz ،E 1، 1973، P 73.

² - احمد البدوي ، مرجع سابق ، 15.

³ - ابن منظور ، لسان العرب ، مج 4، ط1، دار صادر بيروت ، 1994م، ص 604.

⁴ - مشاري بن عبد الله النعيم، أبحاث وتراث :دراسات في التراث العربي، ملتقى التراث العمراني الوطني الأول، الهيئة العليا للسياحة، جدة، 2001، ص 98.

⁵ -عبد الناصر الزهراني، إدارة موارد التراث والعمارة في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، كلية السياحة والآثار، د.س.ن، ص 128.

⁶ - رنا إسماعيل اليسير، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2010 ، ص5.

⁷ - عصام الدين محمد علي، دور التشريعات المصرية في الحفاظ على التراث العمراني واستثماره سياحياً، جامعة أسيوط، كلية الهندسة، د.ع، د س ن، ص 107.

المطلب الثاني: مراحل تطور العمران في غرناطة.

إن الحديث عن عمران غرناطة سيكون عاما ذلك أن عمران مملكة غرناطة آخر دول الإسلام في الأندلس لم يكن سوى المرحلة الأخيرة لتطور العمران في الأندلس .

اهتم الغرناطيون بجميع مظاهر الحضارة في الأندلس و تفانوا فيها حيث اعتبرت غرناطة جماعة لطافات أهل الأندلس من كل لون ،وفي جميع الميادين وذلك راجع لإبداعهم في الفن المعماري الذي بلغ ذروة التحرر والافتتان في الهندسة المعمارية التي تعد رمزا خالدا لروعة الفن الأندلسي عامة ، فقد شهدت العمارة في الأندلس عبر جميع العصور تقوفا في الهندسة والزخرفة والإتقان التي وصلت بها إلى أرقى الدرجات في الإبداع الحضاري والفن المعماري.¹

ترجع أصول العمارة الإسلامية في الأندلس إلى عصر الدولة الأموية فما كاد عبد الرحمان بن معاوية الداخل يظفر بإمارة الأندلس ويستقيم أمره حتى شرع في تجديد ما طمس لبني أمية في المشرق من بهاء الخلافة وعظمتها فبني المسجد الجامع وقصر الإدارة بقرطبة وأقام مدينة الرصافة الشمالية غربي قرطبة وبنى بها قصرا جميل أحاطت به الجنان والبساتين وأقام بقرطبة قصر دمشق وأبدع في عمارته ليقلد به قصر أجداده بالمشرق.²

وفي عصر الخلافة الأموية أحاط خلفاء بني أمية وأمراءهم دولتهم بكل مظاهر العظمة والفخامة وكانوا بنات عظاما فجملوا عاصمتهم وعمروها بالأبنية التي تعد أروع ما جاد به الفن الأندلسي عندما تولى الأمير عبد الرحمان بن محمد إمارة الأندلس وبنى مدينة الزهراء وشيد بها روائع القصور والقاعات والمجالس التي أطال المؤرخون في وصفها وكانت أسقف هذه القصور من القراميد المذهبة وأعمدتها من الرخام والمرمر وجدرانها مكسوة بروائع الزخارف الرخامية و الجصية ومزينة بالفسيفساء .³

استمر المرابطون في حكم الأندلس ما يقرب 60عام ثم فتحها الموحدون وكانت الأندلس وقتها قد انكمشت رقعتها أمام الزحف الإسباني ، فسقطت قرطبة ومرسيه واشبيلية في ايدي الممالك المسيحية في

¹ - محمد بشير حسن راضي العامري: مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر ، بغداد، ط1، 2012م، ص

29.

² - ابن الخطيب: الإحاطة ،تح عبد الله عنان، مصدر سابق، ص 28، 27.

³ - نوفل نعمة الله : صنهاجة الطرب في تقدمات العرب ، مكتبة الأمير خان ،سوريا ، 1899م ، ص 149.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

الشمال وكانت الأحوال السياسية تقتدي تأليف جبهة قومية تقف أمام الخطر الإسباني فقامت مملكة غرناطة وعقد عليها أهل الأندلس أمالهم لإنقاذ ما بقي من دولة الإسلام في الأندلس.¹

كان اشتداد تقدم حركة الاستبداد الإسبانية في قلب الأندلس وتقلص مساحتها قد أدى إلى هجرة الأندلسيين من مدنهم التي استردها الإسبان إلى مملكة غرناطة وكان من بين هؤلاء اللاجئين المسلمين عدد كبير من الفنانين والصناع وأرباب الحرف ممن شردوا بعد سقوط مدنهم في أيدي أعدائهم وأقاموا في غرناطة واستغلوا كل بقعة من أرضها فظهر فن العمارة وفن الزخرفة وأقام محمد بن يوسف قسبة الحمراء وبنى فيها بعض الأسوار الضخمة.²

وكان بنو النصر (ويعرف ببني الأحمر) آخر ملوك دولة الإسلام في الأندلس في مراحلها الأخيرة وينتسبون إلى محمد بن يوسف بن نصر الذي يرجع إليه الفضل الأعظم في وضع أساس هذه السلطنة ولم تثن ما تبقى من مدن الإسلام بعد موجة الاسترداد التي واكبت سقوط دولة الموحدين في الأندلس فكان لزاما على محمد بن نصر أن يختار مقر سلطنته في موقع استراتيجي منيع ووقع اختياره على معقل حصين يقع فوق القمة المعروفة بالسبيكة واخذ في تعميره وترميم أسواره وإقامة قسبة حصينة تحيط بها المنتزهات وكانت هذه القسبة النواة الأولى للقصور المعروفة بالحمراء والتي ترجع إلى سلاطين بن نصر³

وقد ساهم معظم سلاطين غرناطة في إضافة وتجميل مباني الحمراء وبساتينها وخصائنها وقاعاتها فأبدعوا في زخرفتها وزينتها حتى أصبحت صورة صادقة لألوان الجمال وعنونا للنعم الموفرة التي عاش فيها ملوك غرناطة.⁴

وقد شهدت غرناطة حضارات كثيرة تعاقبت عبر العصور، منذ فجر الحضارات الإيبيرية حتى عصر النهضة مروراً بعهود الرومان والقوط والإسلام ما تزال الآثار ماثلة في أحياء وشوارع وأزقة غرناطة في المنازل والقصور والقلاع والجسور، حتى في ملاح الناس وعاداتهم وتقاليدهم وأكثر المعالم بروزاً ما تركه المسلمون الذين أعطوا المدينة طابعها المميز، فمن الصعب إعطاء تحديد شاف لمدينة غرناطة كما يصعب تفسير معطياتها عن طريق مقارنتها بسائر المدن التاريخية فالقواسم المشتركة التي

¹ فهمي عبد الغني المصري وآخرون : تاريخ المغرب والأندلس ، دار التعليم الجامعي ، مصر ، 2024م، ص 297.

² محمد عبد العزيز مرزوق : قصر الحمراء ، دار القلم ، الأردن ، 1963م، ص 38.

³ نادر إبراهيم اسماعيل : دراسة عناصر الإبداع المعماري في تصميم مفردات العمارة الإسلامية بقصر الحمراء بالأندلس مملكة بني نصر، مجلة العلوم الهندسية ، كلية الهندسة، جامعة أسبوط ، مج 50، ع 3، ماي 2022، ص 82.

⁴ زكي عبد الرحمان : غرناطة وأثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011، ص 37.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

تجمع مدن الأندلس لا تشمل كلها غرناطة فعلى أرض الأندلس عدد كبير من المدن التي تفيض بالمعالم الدالة على أمجاد الماضي ولكن واحدة منها لا تحافظ على ماضيها ولا تجدد له لتجعله حيا كما في غرناطة.¹

كما قام ملوك بني نصر ببناء السور التاريخي المحيط بتلي الحمراء والبياسين ويسير مع السور الخارجي القديم نحو الجنوب ثم ينحرف نحو الجنوب ثم ينحرف شرقا ويسير محذيا للمجرى القديم للنهر حدارة مرورا بميدان الباب الملكي وينتهي عند مجرى النهر شنيل في الشرق ، ولقد كان هذا السور الضخم مدعما بأبراج صغيرة تعرف بالبرانيات ولا تزال بعض بقاياها قائمة وكان الشارع الرئيسي للبلد هو نفس الشارع العام الحالي المسمى باسم فردناند وإيزابيلا وكانت الأسواق تقع إلى غرب الشارع فيما يعرف اليوم بالقيسارية ، وحول المسجد الجامع الذي كان يقوم مكان الكاتدرائية اليوم وكانت الأسواق تمتد إلى مباني الجامعة الحالية هنا أيضا كانت الأحياء الشعبية وكانت تمتد حتى تل البياسين أما الجانب الشرقي لمدينة غرناطة فقد اشتمل على أحياء الأمراء والأغنياء وكانوا يسكنون دورا فسيحة تحيط بها البساتين والحدائق وقد تحدث كثيرا عليها لسان الدين بن الخطيب في كتابه الإحاطة عن معالم التقدم والعظمة اللذين بلغتتهما غرناطة في جميع النواحي.²

إن من يعرف شكل المدن الإسلامية سيجد في غرناطة قبل 1492 مثالا من طراز المدينة الإسلامية فعندما جاء زاوي بن زيري (407-412 هـ / 1012-1025م) واختار موقعا لعاصمته الجديدة ، انتقل جميع سكان مدينة البيرة إلى الموقع الجديد على ضفاف نهر (دارو) فأوجدوا بذلك مدينة إسلامية حسب الغرض لا دخل فيها مدينة سابقة ، إن هذا العامل هو الذي يجعل غرناطة مختلفة عن أماكن أخرى مثل قرطبة ودمشق حيث توجب إنزال إطار مدني عربي فوق بنية أساسية رومية لكنه عامل يجعلها شبيهة بأماكن مثل بغداد أو القاهرة و الواقع أن العمران الذي سبق الحمراء كان قلعة تقوم على الموقع الذي تشغله القسبة حاليا والمدينة التي نشير إليها اليوم خطأ على أنها مدينة واحدة كانت في العصور الوسطى مدينتين : مدينة ملكية وتسمى الحمراء تقع على سبيكة ومدينة لعامة الناس هي مدينة غرناطة.³

¹ - يوسف شكري فرحات : مرجع سابق ، ص 170.

² - عبد الحكيم الذنون : مرجع سابق ، ص 43 ، 44.

³ - سلمى خضراء الجبوسي : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1997م، ص 151.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

لقد مرت حضارات متنوعة على غرناطة ولم تكن الحضارات اللاحقة تطمس السابقة بل تكملها فوصلت إلينا متفاعلة مما أعطى المدينة طابعا قلما نجده في سواها.¹

المبحث الثاني: المنشآت العمرانية لغرناطة في عهد محمد الخامس من خلال الإحاطة

المطلب الأول: قصر الحمراء

يقول ابن الخطيب في كتابه "الإحاطة" في كلامه عن عمران غرناطة " .. ورأيت أن هذه الحضرة التي لا خفاء بما وفر الله من أسباب إيثارها وأراده من جلال قدرها ، جعلها ثغرا للإسلام ، و متبواً العرب الأعلام ، قبيل رسوله ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وما خصها به من اعتدال الأقطار وجريان الأنهار وإنفساح الإعتمار والتفاف الأشجار...".² حيث يعد قصر الحمراء من الأمثلة منعقدة النظير في مجال العمارة المدنية³، وشعار تاريخي حظيت به غرناطة وقد أثار أغلب المؤرخين أن سبب تسميته ترجع للون تربته وجدرانه فحين يقول الآخر أن القصر شهد استمرارية في البناء ليلا ونهارا وبالتالي ضوء المشاعل الليلية كانت تضيء عليه لون أحمر.⁴ يقع قصر الحمراء بالضبط في منطقة السبيكة، على الجانب الشمالي الشرقي من مدينة غرناطة وكانت بوابد بنائه عند اعتلاء أبو عبد الله محمد الأول بن الأحمر (635هـ / 1238م) فجعله قاعدة لملكه وموقع ليتحصن به.⁵ ويعتبر قصر الحمراء من أهم روائع العمارة العربية الإسلامية بل إنه أعظم آثار المسلمين بالأندلس دارت حوله القصص وشهدت قاعاته ألوانا عدة من العز والنعمة والجمال فهو في الحقيقة بمثابة قلعة محصنة أو مدينة ملكية منيعة بالنظر إلى أسواره الضخمة وأبراجه المتعددة ومراقفه المتنوعة فهو يعتبر سجلا لتاريخ بني نصر ملوك غرناطة الذين حكموا غرناطة آنذاك ويعرف هذا القصر اليوم في إسبانيا و العالم أجمع باسم الهامبرا Alhambra.⁶ ولقد بنيت معظم أجنحة الحمراء الملكية في القرن الرابع عشر في عهد السلطان أبي الوليد إسماعيل ، فقد بدأ بتشييده أبو الحجاج يوسف الأول من بني الأحمر (733-755هـ / 1333-1354م) وأتمه ابنه محمد الخامس الغني بالله (755-793هـ / 1354-1391م) ، وينسب إلى يوسف الأول السور الذي يحيط بمرتفع الحمراء بما فيه من أبراج وبوابة المعروفة باسم باب الشريعة

¹ - يوسف شكري فرحات : مرجع سابق ، ص 169.

² - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج1، ص 74.

³ - عبد العاصي محمد الورفلي : أوارق أندلسية ، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ط1، 1990م ، ص 20.

⁴ - عدنان فائق عنبناوي ، حكايتنا في الأندلس ، دار المؤسسة العربية ، بيروت ، ط 1 ، 1989م ، ص 273.

⁵ - ابن الخطيب : للمحة البدرية ، مصدر سابق، ص 42.

⁶ - بليغ محمد توفيق: غرناطة وقصر الحمراء في مقدمة تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية المصرية ، العدد 1، المجلد 16، ص 86.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

وباب العدل وينسب إليه أيضا قصر البرطل وبرج الأسيرة أما محمد الخامس فينسب إليه قصر السباع ومنها بهو السباع¹ وعندما تولى محمد الخامس الغني بالله أتم وأصلح ما كان قد أنشأ في عصر أبيه ثم قام بتشيد مجموعة قصر السباع وقاعة الملوك أو العدل وقاعة بني سراج وقاعة الأخنتين².

بهو السباع : وقد أشار ابن الخطيب في كتابه الإحاطة إلى القصور بقوله: "قيمر نهر شنيل بين القصور النجدية ذوات المناصب الرفيعة والأعلام المائلة وفيها القصور المحروسة والمنارة المعمورة والدور العالية والمباني القصبية"³.

في الطرف الشرقي من مباني القصر يوجد أشهر أبهاء الحمراء المعروفة ببهو السباع وهو من أعمال السلطان محمد الخامس الغني بالله ، وقد اشتق بهو السباع اسمه من النافورة الكبيرة التي تتوسطه حيث يحيط به اثنا عشر تمثالا من الرخام للسباع تفتح أفواهها لينتدق منها الماء كما يجرى من فوقها وحولها بشكل يثير الإعجاب ، ويزيد جمال هذا البهو وروعة الأروقة المحيطة به تطل عليه بعقود مختلفة الحجم والشكل والرسم تعددت أسنتها وطالت أطرافها وظهر منها المقوس والمنفوخ والمدبب المنكسر والذي يجمع بين هذين الشكلين وقامت تحتها الأعمدة الرخامية الأنيقة منفردة تارة ومزدوجة تارة أخرى فهي مشوقة البدن رفيعة القوام وتوجت هذه الرؤوس بتيجان أندلسية تكسوها الزخارف النباتية⁴.

كما يقول واشنطن إرفينغ إذا انه على نقيض البقية لم تطله يد الزمان بالتخريب إلا قليلا تقوم في المركز النافورة ، والقاعة عبارة عن مستطيل مساحته 116 × 66 قدما ، أما عدد الأعمدة الرخامية فهو 124 وارتفاعها 11 قدما توضع بشكل عشوائي دون أن يخل هذا بتناسق العام والتجانس وكذلك القناطر ذات الانحناءات المختلفة التي تبرز عبر تيجان مزخرفة بأوراق نبات غنية بالتصاميم المتنوعة ويغطي الأرابيسك الزخرفة العربية التقليدية وتزينها آيات من القرآن ، أما السقوف الداخلية للأروقة المعمدة فتزخر بنقش جصي دقيق وتغطي الجدران إلى ارتفاع خمسة أقدام بالدادو من الزليج الأزرق والأصفر وتحف بشعارات النبالة الملونة بالأزرق والذهبي وتحمل شعارا عربيا بشكل ملتوي⁵.

¹ - حسن الباشا: الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية، 1990م، ص 177.

² - محمد حسن العيدروس : العصر الأندلسي العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة طليطلة وقرطبة ، دار العيدروس للكتاب الحديث ، القاهرة ط1، 2011، ص 62.

³ - ابن الخطيب : الإحاطة ، مرجع سابق ، ص 208.

⁴ - محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 2، 1417هـ- 1997م، ص ص 93، 94.

⁵ - ألبرت كالفرت : مرجع سابق ، ص 38.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

ويعتبر هذا الجناح من إنشاء سلطان غرناطة محمد الغني بالله و هو أجمل و أشهر أقسام الحمراء، بطرازه المصقول و قبابه المضلعة و أعمدته الرشيقة و زخارفه البديعة و نافورته الفريدة التي تحملها الأسود الشهيرة يحمل حوضها المرمري المستدير الضخم اثنا عشر أسد صفت على شكل دائرة و نحتت من الرخام الأبيض ، و هي في مجموعتها رغم عوامل الزمن ، و تأثير الرياح و الأمطار¹ و يدور حول الساحة و من ارتفاع واحد كورنيش من الخشب المزخرف الذي يحمل الحائر (الرفرف) المحمول على كوابيل مزخرفة .²

قاعة الأختين :

سميت بالاسم لأن أرضها تحتوي على قطعتين متساويتين من الرخام فريدتين في فخامة الحجم والنقوش في مدخلها بالخط الكوفي " لا غلب إلا الله" مكررة ، كما نقشت هذه العبارة أيضا حول جدرانها في أسفل وأعلى والواقع أن هذه القاعة هي جوهر القصر كله³، وهذا يعود إلى امتيازها بكثرة الزخارف والمقرنصات والنقوش النباتية المحتشدة،⁴ وتعلوها قبة نجمية الشكل وتؤدي إلى مشرقة تطل على حي البيازين .⁵ وفي هذه القاعة إطلالات هامة حيث أنها تشرف من جهتها الشمالية على بستان واطئ عنها ببضعة أمتار يسمونه بستان الملكة⁶ بالإضافة نجد أن لهذه القاعة عدة شرفات : الشرفة الرئيسية تسمى منظر دراشا أو لبدراشا .⁷ ففي قاعة الأختين يمتزج الفن بالعلم ، فإذا رفعت نظرك إلى الأعلى ترى قبة مثمنة توحى بموجات صادرة من السقف، تعد مثالا لتطور هندسة البناء التي ابتدعت هذا الأسلوب المعماري ، كما أنها تتميز هذه القاعة في الداخل بوفرة زخارف القاسانية و الجصية و جمال تصميمها فالأفاريز والجدران مغطاة بالزخارف من النجوم و الحواشي المطرزة و الزهور والتصيليات إذ تتقاطع أطرافها و تتشابك حواشيتها لتخلق أشكالا جديدة لا تنفذ أبدا متنافسة في الأناقة و اللطف.⁸

قاعة الملوك (العدل):

وفي الناحية الشرقية لفناء الأسود ،مدخل القاعة التي تسمى قاعة الملوك أو قاعة العدل ومدخلها عقد بديع مثلث الجوانب و بها ثلاث عقود أو حنايا رسمت في سقف الحنية الوسطى منها صورة عشرة سادة

¹ - صقر محمد عبد الحميد عيسى ، حمراء غرناطة و تطورها بعد ضياع الأندلس ، نادي أيها الأدبي ، ع 13، ص 80.

² - عبد الحكيم الذنون : مرجع سابق ، ص 98.

³ - عبد الواحد ذنون طه : دراسات في الحضارة الأندلس وتاريخها ، دار المدار الإسلامي ، بيروت، ط 1 ، 2004م، ص 256.

⁴ - كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام ، دار النهضة والشرق، القاهرة ، ط1، 2000م ، ص 170.

⁵ - محمد ليبب البتوني : رحلة الأندلس ، مطبعة المعارف، القاهرة ، ط 1، 1905م ، ص 136.

⁶ - خالد محمد مبارك القادسي : تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ، دار الثقافة ، القاهرة ، 2008، ص 49.

⁷ - علي اسلام الباشا : إسبانيا والأندلس، مطبعة مصر، مصر ، 1951م، ص 84.

⁸ - حازم جساب محمد علي ، جمالية التصميم الزخرفي الأندلسي لقصور الحمراء في غرناطة ، دار صفاء للنشر التوزيع ، عمان ، 2014م ص162.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

مسلمين يلبسون العمام ويجلسون على وسائل ولهم لحي ، وهيئاتهم تشع بالوقار والعزة ويرى بعض الباحثين أن هذه الصورة ملوك غرناطة العشرة الذين سبقوا أبي عبد الله في تولي العرش أولهم محمد الغني بالله وآخرهم السلطان أبو الحسن والد أبي عبد الله ونقشت سقفي الحنيتين الأخريين صورة الفرسان ومناظر فروسة ومناظر صيد يطارد فيها دب وخنزير ويرى فريقين من الأثريين أن المرجع في شأن هذه الرسوم أنها من صنع الفنانين النصارى وقد رسمت قبل سقوط غرناطة في القرن الخامس عشر.¹

قاعة بني سراج :

تقع قاعة بني سراج في الجهة الجنوبية من بهو الأسود، و يبدو أن القاعة أخذت اسمها من أسرة بني سراج الغرناطية الشهيرة التي لعبت دورا كبيرا في حوادث غرناطة الأخيرة ، و التي تعتبر من أعرق البيوت الأندلسية التي وصل رجالها إلى أعلى المناصب في الدولة و منهم يوسف بن سراج الذي تولي الوزارة للسلطان أبي عبد الله محمد بن نصر المعروف بالأسير ، ثم حدث خلاف بينهم و بين الأسرة الحاكمة من بني نصر مما أدى إلى مقتل بعضهم ، و يدور حول ذلك الموضوع الكثير من الأساطير التي تذكر أن تلك القاعة كانت مسرحا لمقتل بعض كبار رجال تلك الأسرة وقد بني على يد السلطان أبو عبد الله محمد الخامس .² و التكوين المعماري لهذه القاعة عبارة عن مستطيل مساحته نحو اثنا عشر مترا في ثمانية ، غطيت أرضه بالرخام المرمري ، و فوقه قبة عالية ، مضلعة الدائرة و في جوانبها نوات صغيرة هي التي تمد القاعة بالضوء و في كلا الجانبين الأيمن و الأيسر عقد عربي بديع ، و قد زين عقد الباب و هو من الخشب المعقود بزخارف عربية جميلة ، و حفرت في داخل دائرة القبة مقرنصات مثلثة ، ليست هي زخارفها الأصلية ، بل هي من صنع الإسبان ، ترجع إلى القرن الثامن عشر ، و قد نقشت في دائرة القبة الوسطى عبارة " لا غالب إلا الله " بالنسخ الكوفي ، و نقش في دائرتين في الجهتين اليمنى و اليسرى هذا البيت و هو من نظم ابن زمرك:

فتحسبها إلا فلاك دارت فتسيها تظل عمود الصبح إذا لاح باديا .³

قاعة البركة (ساحة الريحان):

إنها أعجب ما في الحمراء جميعا بناها محمد الخامس ،¹ بحيث تتقدم بهو السفراء ومن الحسن الحظ الحظ لم تتعرض لأي إجراءات ترميمية وهذا ما جعلها محافظة على جميع نقوشها المكتوبة على

¹ - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ، ص ص 204، 203.

² - محمد عبد المنعم الجمل ، قصور الحمراء ، تقديم إسماعيل سراج الدين ، ديوان العمارة و النقوش العربية ، ص 155.

³ - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ، ص 187.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

جدرانها وكذا صورتها الأصلية²، و قد اكتسب اسمه من البركة الكبيرة التي تتوسطه و التي تحيط بها أشجار الرياح ،بالإضافة إلى ذلك يوجد على جانبيه الشمالي و الجنوبي رواقان يطل كل منها على البركة بسبعة عقود ترتكز على أعمدة رخامية رشيقة ،العقد الأوسط منها أكثر اتساقا و ارتفاعا.³ ولقد سميت بهذا الاسم نظرا لتواجد كتابات كثيرة منقوشة على الخشب الذي يغطي جدرانها تردد اسم البركة .⁴ ويقول ابن الخطيب عن المنشآت العمرانية التي تتخللها البساتين والجنان " تلوح نجوم الشرفات أثناء خضرائه ".⁵

المطلب الثاني: بیمارستان (مستشفى) غرناطة

توجد في غرناطة عدة متاحف أثرية هامة ،ويحتوي على طائفة كبيرة من القطع واللوحات الأثرية معظمها من مخلفات قصر الحمراء وقد شهدنا من بينها لوحة رخامية كبيرة في حجم باب متوسط نصفها الأعلى بيضاوي و نصفها الأسفل مستطيل ، وقد سجل فيها إنشاء المارستان (المستشفى) النصري على يد السلطان الغني بالله وهذا نصها: " الحمد لله ، أمر ببناء المارستان ، رحمة واسعة لضعفاء مرضى المسلمين وقرية نافعة إن شاء الله لرب العالمين وخذ حسنته ناطقة باللسان المبين وأجرى صدقته على مر الأعوام وتوالي السنين ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، المولى الأمام السلطان الهمام الكبير الشهير الطاهر الظاهر أسعد قومه دولة وأمضاهم في سبيل الله صولة صاحب الفتوح والصنع الممنوح والصدر المشروح ، ناصر السنة كهف الملة ، أمير المسلمين الغني بالله"⁶

ويقول لسان الدين ابن الخطيب : في كلامه عن أمير المسلمين بالأندلس محمد بن إسماعيل بن فرج بن يوسف بن نصر ومن مواقف الصدق والإحسان من خارق جهاد النفس بناء المارستان الأعظم حسنة هذه التحوم القصوى ، ومزية المدينة الفضلى لم يهتدي إليه غيره من الفتح الأول مع توفر الضرورة وظهور الحاجة فأغرى به همة الدين ونفس التقوى فأبرزه موقف الأخدان ،ورحلة الأندلس وفذلقة الحسنات فخامة البيت وتعدد خزائن و متوضآت وانطلاق جارية وحسن ترتيب أبر على مارستان مصر

¹ - زكي عبد الرحمان: مرجع سابق ، ص 60.

² - عبد المنعم الجمل ، المرجع نفسه ، ص 141.

³ - بليغ محمد توفيق: مرجع سابق ، ص 91.

⁴ - شكري فرحات : مرجع سابق ، ص 196.

⁵ - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 1، مرجع سابق، ص 205.

⁶ - محمد عبد الله عنان: مرجع سابق ، ص 184.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

بالساحة العريضة و الأهوية الطيبة وتدفق مياه من فورات الرمل وأسود الصخر وتموج البحر وانسدال الأشجار.¹

إن مارستان غرناطة حول إلى دار ضرب بعد سقوط غرناطة وحدثت فيه تغييرات مرات عديدة وتهدم ثلاثة أرباعه ولكنه في مظهره أبسط من معاصره بيمارستان قلاوون ، ففي وجهته بعض نوافذ ، وفيها أقواس مزدوجة وفي الوسط باب و أسكفة يعلوهما كتابة تشبه أشعة الفلك ويدخل من الباب إلى ردهة مربعة الزوايا مستطيلة ، وفي وسطها حوض فيه أسدان جاثيان يشبهان مثليهما في قصر الحمراء وينبع منهما الماء وحول الردهة أربعة أروقة ينفث فيها أبواب طويلة ذات انحناء على شكل نعل الفرس وفي الزوايا سلاليم يدخل منها إلى الطابق الأول.²

وكان ابتداء بنائه في العشر الوسط من شهر محرم من عام سبعة وستين وستمائة والمعروف أن هذا المارستان كان قائما على الضفة اليمنى لنهر حدة وهدم في القرن التاسع عشر وله مخطط كامل.³

غالبية المصادر التاريخية لم تذكره سوى بيمارستان غرناطة ولم تذكره باسم المؤسس كما هو الحال في البيمارستان الصلاحي في مدينة القدس أو البيمارستان الناصري نسبة إلى الدولة الناصرية ، وإنما عرف باسم مارستان غرناطة وكذلك يعرف باسم بيمارستان محمد الخامس سلطان مملكة غرناطة الذي شيد في عهده ، وفق للوحة التأسيسية يعتبر هذا البيمارستان أول مستشفى في الأندلس منذ دخول الإسلام إليها ويذكر ابن الخطيب ذلك في قوله " لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول " أما المعماري Antonio Almagro cardenas وصف بوابة بيت السكة (البيمارستان) " تظهر كما كانت غنية بالزخارف والتصميم الأصيل والأنيق وزخارف تتكون من جزئين مفصولين بواسطة كورنيش محدد من اليمين والشمال بأعمدة ذات تيجان وقواعد من نفس النمط أو الأسلوب بالنمط العربي .⁴

وقد أسسه محمد الخامس الغني بالله سنة (767هـ - 768هـ) لضعفاء مرضى المسلمين وفي مؤلف ابن الخطيب "الإحاطة" وصف عام لهذا المارستان والذي يسميه المارستان الأعظم لما يحتويه من

¹ - ابن الخطيب : الإحاطة ، م2، مرجع سابق ، ص25.

² - أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012م ، ص 190.

³ - يوسف شكري فرحات : مرجع سابق ، ص 174.

⁴ - شامخ زكريا علاونه : بيمارستان مدينة غرناطة دراسة تاريخية ، مجلة عصور ، ع 37، أكتوبر ، ديسمبر 2017م ، ص 178.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

مساحة واسعة ومساكن عديدة وجريان المياه وقد ضم مركز المارستان باحة داخلية بها حوض عميق تصب فيه عينان كل عين تمثل أسد.¹

وهذا المستشفى أو المارستان فقد تخرب بينما أنه احتفظ بمخططه الأصلي حيث يحف باحته الوسطى أروقة لها عقود محدبة في الطابق الأسفل وكان موضع باب المارستان معروفا إلى وقت قريب باسم " بينفاماسداد ".²

وقد صف الباحث Antonio Fernandez puertas بوابة البيمارستان ويقول: " تزخرف الأبواب كتابة تتكون من الخط الكوفي بزوايا من أصل فارسي مع شعار مملكة غرناطة لا غالب إلا الله حيث يمكن قراءتها في الوضع الطبيعي والمقلوب والذي جعله مميزا من خلال طريقة إبراز الآجر المقطوع وقد تم ملئ الفراغ بين الأحرف بالخزف ذات اللون الأزرق ".³

المطلب الثالث : المنشآت الدينية والعسكرية

المنشآت الدينية :

أول ما نلاحظه في الفن النصري على الصعيد البناء غلبة الطابع المدني على الديني إذ لا بروز قوي للمساجد والحصون كما هي الحال في العهود السابقة لاسيما أيام المرابطين والموحدين وما يستدعي الانتباه في العمارة الإسلامية الغرناطية اعتماد البساطة من الخارج مع كثرة الزخارف من الداخل.⁴ كما جاء في قول ابن الخطيب " قد مثلت منها الحقائق والجنات على أنهار المتدافعة العباب المنارة والقباب"⁵

وقد اعتنى سلاطين بنو الأحمر وأمراء بنو الأحمر كثيرا بالعمارة الدينية ، وعلى رأسها المساجد التي كانت منتشرة في مختلف مدن وقرى المملكة النصرية ، وذلك لما للمسجد من مكانة لدى الأندلسيين سواء من الناحية التعبدية أو التعليمية⁶، فقد جمعت مساجد بني الأحمر بين الإحكام في البناء والحسن في البناء البناء والحسن في المنظر، أما مآذنها فكانت عبارة عن أبراج مربعة بسيطة تتكون من طابقين ، الأسفل

¹ -خديجة خيرى : دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية (البيمارستانات في المغرب والأندلس) ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 65، مركز جيل البحث العلمي، لبنان ، جوان 2020 ، ص 149.

² - عبد الحكيم الذنون : مرجع سابق ، ص 111.

³ - شامخ زكريا علاونة: مرجع سابق ، ص 179.

⁴ - يوسف شكري فرحات : مرجع سابق، ص 153.

⁵ - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج 1، مرجع سابق، ص 206.

⁶ - المقرئ: نفح الطيب ، مصدر سابق ، ص 181.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

ينتهي اعلاه بشرفة والأعلى أصغر حجما وأقل ارتفاعا من الأول ويتوجه كذلك سور محيط بالمئذنة أعلاه مزخرفة بكرات معدنية مختلفة ويستقل المسجد عن المئذنة دائما ويفصل بينهما صحن .¹

وفضلا عن وظائفها الدينية المعروفة من أداة للصلاة وقراءة القرآن الكريم وتدريس الحديث النبوي والفقه وغيرها كانت تتخذ كذلك لمهام أخرى كأخذ البيعة للسلطان الجديد ، وتقرأ على منابر الأحكام والأوامر السلطانية الهامة² ، ونجد أن الأندلسيون اهتموا كذلك بفن الزخرفة وحظيت المساجد على نصيب كبير من ذلك، إذا زخرت بزخارف جميلة وأنيقة وهو ما عبر عنه لسان الدين بن الخطيب عند حديثه عن المسجد الجامع بغرناطة وكان من أعظم مساجد بنو نصر إذا يقول " ..على ما هو عليه من الظرف والتمجيد والترقيش وفخامة العمل وإحكام أنوار الفضة وإبداع تراها".³

وبالإضافة إلى هذا المسجد كانت هناك العديد من المساجد مماثلة في غرناطة وماجورها من المدن والقرى .⁴

ونذكر منها في عهد محمد الخامس الغني بالله:

مصلى المشور: أسسه محمد الخامس في الفترة الثانية لحكمه التي بدأت عام 1362م ، يقع إلى جوار السور الشمالي للحمراء كما أن وضعه قصد أن يكون اتجاه القبلة وإليه يتم الدخول عبر بابين أولهما الباب القديم الواقع في المقدمة ثم بعد ذلك دهليز إلى يمين البرج الصغير الكائن في صحن مانتشوكا ، أما الباب الثاني فهو باب حديث يصل بينه وبين المشور حيث نجد هناك القبة الملكية التي تقوم على أعمدة أربعة ، ففي نص جديد لجارثيا جومث نشره لابن الخطيب يقول " عندما نتحدث عن المصلى من حيث الحجم نجد أنه أكبر من مصلى البرطل و يقترب من نصف مساحة المسجد المجاور لمدخل صحن مانتشوكا ، ورغم أن المصلى يقع خارج نطاق منطقة الإقامة الملكية فإن موقعه إلى جوار تلك القبة الملكية يجعله في مرتبة مرتفعة ، فقد كان السلطان يأتي على هذا المكان في أيام معينة من الأسبوع ليستمع إلى المتحدثين باسم السكان .⁵

¹ - أحمد محمد طوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م، ص57.

² - عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 21.

³ - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج1، مصدر سابق، ص 359.

⁴ - عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 208

⁵ - باسيليو بابون مالدونادو: عمارة المساجد في الأندلس غرناطة وباقي شيه الجزيرة الإيبيرية ، تر: على ابراهيم منوفي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة ، الإمارات ، ط1، 1432هـ - 2011م، ص 125.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

وهو مسجد صغير مربع المساحة وله مئذنة صغيرة عمودها الأوسط مربع ويلج المصلون إلى الجامع عبر السلالم الضيقة تبدأ عند الميضأة وهي كتل حجرية مكسورة بالرخام وتكسى وجدرانها بالزليج وربما كانت الوظيفة الرئيسية لهذا المكان هي الأعمال الإدارية المتعلقة بعمليات الدخول والخروج سواء من أهل المكان أو الغرباء مع ما يصحب ذلك من حوض للوضوء ومصلى ومن فوق المئذنة كان المؤذن يرفع الأذان بين الزائرين الذين كانوا يفيدون للمشاركة في المناسبات العامة دعا إليها السلطان في ميكسوار ووجود المسجد برهان على الأهمية العامة للمنطقة التي نصفها ، كما أنه يحدو بنا إلى التأمل في الترتيب التاريخي للأحداث وإذا ما اعتبرنا أن المصلى الصغير في ميكسوار قد شيد في عهد محمد الخامس وكان استخدامه مقتصرًا عليه فإن ذلك الآخر كان من أقدم دور العبادة في المنزل الملكي القديم أي أنه سابق بعض الشيء زمنيا على المسجد الملكي الذي أسسه محمد الثالث خارج الأسوار أو معاصر له وخصصه لاستخدام البلاط وسكان السبيكة.¹

المنشآت العسكرية :

الجدير بالذكر أن غرناطة بالرغم من وصفها بالحصانة، إلا أنها ما كتبت في هذا الجانب عقيم فقد اكتفت المصادر والمراجع بذكرها على شكل نقاط و التلميحات². فقد كانت غرناطة الملجأ الطبيعي لمعظم المهاجرين الأندلسيين الذين فروا أو طردوا من بلادهم ولاشك أن هذه العناصر المهاجرة قد أعطت لهذا الوطن الجديد كل خبراتها وسواعدها ما كان له أثر كبير في ازدهار هذه المملكة وبقائها في مواجهة الإسبان أكثر من قرنين ونصف من الزمان وقد وهبت الطبيعة مملكة غرناطة جبالا شامخة سهلت مهمة الدفاع عنها.³

إن الأوضاع السياسية المتدهورة التي عانت منها غرناطة وأثقلت كاهلها ، جعلتها في عرضة دائمة للأخطار الغارات والكمائن الحربية الإسبانية التي كانت تهددها ، بالإضافة لكونها آخر معقل إسلامي قد تحكمت في مجريات الأحداث فجعلت الغرناطيون يولون قسط كبيرا من اهتمامهم بالمنشآت العسكرية والتي الاستعداد الحربي الدائم بشتى أنواعه لصد الهجمات النصرانية والحرس التام على تدشين تحصينات منيعة على حدود الحمراء وتدعيم الأسوار بأبراج متينة لدرء الخطر الإسباني المتزايد وبحكم موقعها دفع

¹- باسيليو بابون مالدونادو: العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور ، تر: على إبراهيم منوفي ، مر محمد حمزة الحداد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مج 3، 2010م ، ص ص 86، 87.

²- شكيب أرسلان: الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ج 1، المكتبة التجارية الكبرى ، فاس ، ط1، 1355هـ، 1936م، ص 81.

³- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، دط، 1969م، ص

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

سلاطين غرناطة خلال عهودهم إلى تخطيطات دافعية مع نهاية القرن 7هـ / 13م لضمان الصمود أمام الأخطار المحدقة والمحاولات المتكررة للقضاء عليها لذا قامت بتشكيلات عسكرية¹

وقد تميزت بالصلابة وهذا ما صرح به العديد من الجغرافيين الذين وصفوها بالمدينة الحصينة ، نظرا لوجود الحصون التي مثلت دورا كبيرا في حربها الأخيرة وهذا راجع لحرص سلاطين غرناطة في تشييد خطوط الدفاعية المتمثلة في الحصون والقلاع.² وفي الغالب كانت الأسوار تتألف في الأعلى من درب أو ممشى يسير عليه المحاربون ، وشرفات لقذف السهام ودروات يحتمون خلفها والدروات كتل قائمة تنتهي بشكل مخروطي ، ويتخلل جسم الدورة فتحات تساعد المحارب على النظر إلى الأسفل دون أن تصيبه أسهم الأعداء ، وقد تبقى من أسوار المدن الأندلسية عدد كبير مازال سلميا في أكثر أجزائه كما هو الحال في أسوار غرناطة ، بالإضافة كانت توجد أبراج تقام في أماكن عالية ، ومن خلالها يمكن مراقبة المنطقة وأسوار المدينة جميعها ويضاف إلى الأسوار والأبراج أبواب تصل المدينة بخارجها³.

وقد حرص سلاطين غرناطة في تشييد خطوط الدفاعية متمثلة في الحصون والقلاع وخير دليل اهتمامات السلطان محمد الخامس (755هـ/1254م) بتحسين الحدود الشمالية بأبراج وأسوار مطلة على المنطقة جيان ووادي شنيل ، الممتدة لمدينة رندة إلى ضواحي جبل طارق وما يميز هذه القلاع تركيبها من سورين عظيمين ومجموعة من الأبراج⁴ ومن بين تلك الحصون نذكر : **حصن القصبه الحمراء** : يعد حصن القصبه الحمراء القسم العسكري الخاص بالحمراء قام بتشييده ابن الأحمر بتاريخ (629هـ/1232م) ، على أنقاض القلعة القديمة⁵، التي كانت مبنية بغرناطة فوق منطقة السبيكة على الموضع المرتفع أطلق عليه بنو الأحمر وحرص مؤسسه على سرعة إتمامه و بإطار جمالي باهر⁶ لقد اتصفت القصبه الحمراء بشكلها المثلث وجدرانها العالية المكثفة والعريضة كما أنها احتوت على العديد من الأبراج على مستوى حوافها وعلى رأس قائمتها برج الحراسة ولعض الأبراج الصغيرة وغيرها⁷، وقد تعرض حصن الحمراء لحوادث خربت صرحه وهدمت أبراجه في سنة (768هـ/1377م)، وقد قام محمد الخامس بإعادة تحصينات الحمراء التي خربت ، كما أنفق 20,000 دينار من الذهب لتجديد قصبه

¹ - أسعد حومد : **محنة العرب في الأندلس**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2، 1977م ، ص 123.

² - علي بن سالم الورداني : **الرحلة الأندلسية** ، الدار التونسية للنشر ، رادس، دط، 1984م، ص 58.

³ - عبد العزيز سالم : **المساجد والقصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، د ط، 1986، ص 160.

⁴ - شكري يوسف فرحات : مرجع سابق ، ص 73.

⁵ - حسين مؤنس: **رحلة الأندلس** ، مرجع 174.

⁶ - عبد الحكيم الذنون : مرجع سابق، ص 41.

⁷ - شكري يوسف فرحات : مرجع سابق ، ص 194.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

أرجونة ، كذلك حفرت الخنادق حول المدن لإحكام تحصيناتها وكان سكان الأقاليم التي تقع على الحدود يشاركون في تأسيس هذه الحصون والأسوار.¹

ويذكر ابن الخطيب " وأدار السور الأعظم على الرض الكبير المنسوب للبيازين ، فانتظم منه النجد والخور في زمان قريب وشارف التمام لهذا العهد وبنى من الأبراج المنيعة فيمئثال الثغور وروابي مطالعها المنذرة ما ينيف على أربعين برجاً، فهي مائلة كالنجوم ".² وفي معرض حديث ابن الخطيب عن الثورة التي قامت في عهد محمد الخامس ذكر ثلما كان بسورها لم يتم إصلاحه ، فنصب سلم أعد لذلك وصعدوا منه ، ولما استوفوا قصدوا الباب (المضاع المسلحة) وفي موضع آخر عند حديثه عن ترجمة إسماعيل بن يوسف بن فرج بن نصر يقول : واقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية وقد هدم كل شيء في سبيل إصلاحه ويوضح النص السابق حالة أسوار القسبة فقد كانت مهدمة في بعض أجزائها وخاصة منطقة السلاح الذي ذكر أنه (مضاع المسلحة) أي أنه غير محصن وخال من الحراسة وأنهم بدأوا بترميمها ولكن قامت الثورة ضد السلطان محمد الخامس ، توقفت أعمال الإصلاح ، وعندما تمكن السلطان من استعادة حكمه بنى الأسوار وحصن بوابة السلاح.³

المبحث الثالث: مظاهر العمارة النصرية في غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال الإحاطة

المطلب الأول: أنماط العمارة النصرية في غرناطة

امتزج تصميم الحمراء بين البساطة و الإبداع ، ازدواجية صعبة التحقيق لكن الفنان الناصري و الغالب في تصميم الحمراء الخشونة و البساطة في نظامها الدفاعي " الأسوار " إذ يبلغ سمك جدرانها حوالي ثلاثة أمتار ، لتكون حاجز لضربات العدو ، و سدا منيعا يحمي القصر و المدينة ، هذا يخالف التصميم الداخلي لفضاءات القصر ، حيث تميزت بالإبداع و الهدوء و الرقة و الجودة الفنية في البناء ، مشكلة لوحة فنية موحدة على الرغم من توالي حكام بني نصر على القصر و الإضافات التي زادها هؤلاء الحكام ، إلا أن المتمعن في هذا القصر لا يجد تفاوت و لا اختلاف في عناصره.⁴

¹ - أحمد محمد الطوخي : مرجع سابق، ص 217.

² - ابن الخطيب : الإحاطة ، ج1، ص 216.

³ - إبراهيم أبوا ارميس: قصبة المدينة الحمراء بغرناطة (دراسة تاريخية معمارية) ، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مج 10، ع1، قسم تعليم الاجتماعيات ، كلية العلوم التربوية ، فلسطين، 2024م، ص 101.

⁴ - حازم حساب محمد علي، جماليات التصميم الزخرفي الأندلسي لقصور الحمراء في غرناطة ، دار الهادف الثقافية، ط 1 ، عمان، الأردن، 2014، ص 174.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

وتصميم الحمراء كان وفق رؤية مسبقة للنسق الجمالي و التاريخي له حيث راع المعماري المسلم في تصميمه كل الجزئيات الخاصة بمرافقه لذلك استعمل النمط المسطح في التصميم أي أن الغرف و البهو كلها منبسطة و مكشوفة للمشاهد فالعمارة المسطحة و الإيحائية و الصغيرة للحوائط ، و بوائك الصحن و الحدائق و النوافذ العالية ، ذوات العقود نصف الأسطوانية ، و الإطارات التي تحيط بالكوات و الهوس بعقود و قباب المقرنصات ، هي التي تحدد ملامح عمارة الحمراء¹.

إن تصميم قاعات القصر و أبهائه جاء مراعاتاً لعنصر الضوء و الهواء حيث لا نجد قاعة أو فناء أو برج لا يتوفر على هذه التقنية (تسريب الضوء ، و الهواء) من خلال إنشاء قمريات أو شمسيات ، كذلك جعل القاعات أكثر اتساعاً و ملاءمة للعيش مع إطلالاتها على فضاءات مائية (البرك ، النوافير) لتلطيف الجو في فصل الصيف ، كذلك الجنان الخضراء مشكلة بذلك مزيج تخلو فيها النفس إلى الراحة و معانقة الهدوء ، ليشكل بذلك الفنان الناصري المنظور الديني في عمله ليتسامى و صورة الفردوس الأعلى ، و هي الصورة التي رسمت وصفاً في القرآن الكريم ، لتمتدح صناعة و تصميم الإنسان ، مع صناعة الله المتمثلة في شكل الحمراء و هي تلعب بين فيافي الأشجار ، و خريز المياه ، و هذا ما تسميه (التناسق الفني) أو الاقتباس الفني في تصميم الحمراء و أجزائها².

يعتبر قصر الحمراء فسيفساء متنوعة من العناصر المعمارية المتداخلة فيما بينها تدل على براعة مصممها و حسن تدبيره و من أهم العناصر المعمارية الموجودة في قصور الحمراء 1/ القباب: و هي عبارة عن مظلات مكسوة بالقرميد ، ذات طابع مغربي جميل أو مقوسة الشكل نجدها في القاعات الكبرى مثل بهو الريحان و فناء الأسود ، و تعتبر القباب صورة عامة لعمارة الحمراء و خاصية تتميز بها و نجد فيها نوعين القباب الصغيرة المثمنة ، و الكبيرة ذات الإثني عشر قصاً حيث أن الفن الإسلامي في الأندلس يمكن أن نرى نماذج لذلك في العديد من الزخارف الجصية في قصر الحمراء ، كما أقيمت من مواد البناء و هنا تبرز القبة المسماة قبة بوابة السلاح بقصر الحمراء ، و القبة القائمة على الممر الداخلي بها ثمانية فصوص³.

2/ القاعة (البهو المحوري): تعتبر القاعات أهم العناصر المعمارية الموجودة بقصر الحمراء إذ تتميز باتصالها مع بعضها البعض بممرات طويلة تربط بينها في الغالب تكون واجهة الممرات عبارة عن أقواس مزينة بالزخارف الجصية الجميلة و من بين هاته القاعات ، قاعة العرش ، و قاعة الأختين... إلخ.

¹ - باسيلييو بابون مالدوناندو: العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور، مج 4، مرجع سابق، ص 44.

² - حازم حساب محمد علي: المرجع السابق، ص 174.

³ - باسيلييو بابون مالدوناندو: الفن الإسلامي في الأندلس، تر: على إبراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة ، ط2، القاهرة، 2002م، ص 179.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

3/الحدائق و الجنان: و من العناصر المهمة في عمارة الحمراء توظيفها لعنصر الحدائق و الجنان حيث نجدها متصلة بأنواع كثيرة من الأشجار و الزهور و هي من أساسيات العمران في ذلك الوقت وآية الحسن فاق جمالها جمال القصر بكامله .

4/البرك و النوافير: فذكر الحديقة و الجنان يجرنا إلى ذكر ما يلزمها و هي البرك و النوافير التي جعلت الحمراء عمارة نابضة بالحياة فنرى تدفق المياه و جريانه في السواقي موزعة توزيعا يحيلنا مباشرة إلى أنهار الفردوس الأعلى ، و تدفق المياه من أفواه السباع كأنه فضة تسيل من شدة نقاوته.

5/الشبابيك و الشمسيات : هي من العناصر المهمة في عمارة الحمراء إذ نجد استعمالها في العديد من أجزاء القصر خاصة تلك المتعلقة بحريم الخليفة و حاشيته ، و خير مثال على ذلك قاعة الأخنتين.¹

6/الأقواس والأعمدة : وكانت الأقواس تشاد عن طريق رصف طبقات من الحجر أو الحجار القرميدية بدأ من نصف قوس الذي كان يعتبر الأساس ، أو يبد رصف القراميد انطلاقا من تاجي العمودين اللذين أعدا لحمل القوس فتلتقي الحجار عند منتصف العقد ويستعان في العمليتين بدعائم خشبية ، أما الأعمدة فهي بعيدة إجمالا عن الضخامة ، وهي دقيقة رشيقة وتعلوها أفاريز بارزة ، وتأتي تيجانها أحيانا مكعبة الشكل ومكسوة بتوريقات من النخيل المنحنية في تناسق وانسجام .²

المطلب الثاني : خصائص العمارة النصرية في غرناطة

انتشرت الزخرفة الإسلامية في بلاد الأندلس نتيجة انتقال الحضارة الإسلامية إليها، فاخذ فن الزخرفة طابعا خاصا بها، حيث انتشرت بكثرة في العمارة فنجد العديد من الأبنية التي تشهد على مكانتها في الفن المعماري الأندلسي.³

من بينهم قصر الحمراء الذي اعتبر مكان لالتقاء الفن الزخرفي بشتى أنواعه، فقد امتاز بجمال مبانيه ورشاقة أعمدته المزخرفة وكذا الجدران المغطاة بشبكة من الزخارف الجصية، تكون على أشكال عديدة نباتية وهندسية وحتى الخطية تتوزع في مختلف قاعات القصر فلا يخلو جدار في القصر إلا وهو مزخرف.⁴

¹ - نفيدسة عبد القادر : جماليات العمارة الأندلسية قصر الحمراء أنموذجا، أطروحة دكتوراه، تخصص أدب وحضارة عربية، قسم الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة مستغانم ، السنة الجامعية 2023-2024، ص ص 201، 200.

² - شكري يوسف فرحات : مرجع سابق ، ص ص 154، 155.

³ - مها بنيت محمد العوض الخيري: الزخرفة في العمارة الإسلامية ، المؤتمر الثالث لتاريخ الفنون عن العرب والمسلمين ، مجلد 01، مؤسسة الشارقة، 5-7 ديسمبر 2017، ص 232.

⁴ - شيماء شاكر: فنون بلاد الأندلس المتأثرة بالفنون الإسلامية مصدرا لاستحداث تصميم طباعة المعلقات النسيجية، مجلة العمارة والفنون، كلية الفنون التطبيقية، قسم طباعة المنسوجات، جامعة حلوان، العدد7، ص4.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

ومن العناصر المهمة التي تعد خاصة مميزة في زخرفة البناء الأندلسي أيام بني الأحمر ما يعرف باسم التوريق وقد سمي هكذا لاعتماده على الأوراق والأزهار، وكان هذا الفن رائجا قبل العصر النصري، ثم عرف ازدهار منقطع النظير في القرن الرابع عشر، وتنطلق التوريقات من قاعدة أساسها المربعات والمستطيلات والأشكال الأخرى كالمعين، ومتعدد الزوايا ومن تراكم الأوراق وتكثيف الأزهار والثمار ومن أجمل التوريقات ما أنجز على عهد محمد الخامس في قصر الحمراء، ومع أن هذه التوريقات تبدو عربية المظهر فإن فيها من السمات ما يجعل بعضهم يشك بنسبتها إلى الأصل العربي، فزخارف الجدران في باحة الأسود وباحة البركة هي إما من عمل فنانيين نصاري، وإما النصاري أدخلوا فيها بعد التعديلات أبعدت الزخارف عن أصلاتها، والمعروف بحسب ما يؤكد المؤرخون، أن أكثر تلك التوريقات نفذ أيام محمد الخامس الذي استعان بخبراء وفنانين نصاري من إسبانيا وإيطاليا.¹

كما انتشر استخدام المراوح النخلية ذات الأسطوانات والمراوح الملساء والمراوح المزينة بالوريدات والمراوح المسنة، فالمازوح المزينة بالخطوط والحلقات اعتمد عليها الفنان النصري في دمج الممازوح ذات الأسطوانات مع مختلف الزخارف فنجدها كخلفية للزخارف الكتابية، كما نجدها تزين أشكال هندسية مختلفة، وتعد كعنصر أساسي في بعض اللوحات الفنية، أما الممازوح النخلية الملساء فقد استطاعت أن تأخذ مكانتها ضمن الزخارف النباتية، إذ نجدها في العديد من اللوحات الفنية التي تزين جدران القصر كما وجدت السيقان النباتية في مختلف أرجاء القصور إذ تبرز كخلفية للزخارف الكتابية.²

أما الأشكال الهندسية القائمة على الخطوط المشبكة، فقد عرفت باسم الأرابيسك ومما لا شك فيه أن فكرة رسم المضلعات والأشكال ذات الزوايا المتعددة هي خاصة إسلامية معروفة، وقد ركز الفنانون اهتمامهم على التنوع في الأشكال الهندسية أكثر من ذي قبل فغطوا بها الجدران والسقوف والأبواب وأفاريز المنابر وواجهات المداخل كما رصفوا به أرض بعض الأبياء والغرف.³

ومن بين الأشكال الهندسية التي انتشرت بكثرة في الفن النصري الأطباق النجمية المتعددة الرؤوس من بينها نجمة ثمانية الرؤوس داخل مربع، كما وظفت أطباق نجمية ذات اثني عشر وستة عشر رأسا بداخلها كلمة الجلالة الله، كما استعملت المعينات النباتية والهندسية والصفائر التي تشكل إطارا للزخرفة الكتابية أما بالنسبة للأشكال المضلعة فقد تعددت خاصة المضلعات السداسية والرباعية والخماسية التي تنشأ عن الأطباق النجمية، كما نجد المضلعات الثمانية، أما الخطوط المستقيمة فقد وضفت كأطر

¹ - شكري يوسف فرحات : مرجع سابق، ص 162.

² - زركي نبيلة، الزخرفة الحصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلسي (القرن 7-8هـ / 13-14م) دراسة تحليلية مقارنة، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، قسم الآثار، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014، 2015، ص 134.

³ - شكري يوسف فرحات : مرجع سابق، ص 164.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

للزخارف الأخرى، وفيما يخص الأشكال الدائرية فقد تنوعت فمنها الدوائر البيضوية و المفصصة التي تضمنت زخارف نباتية و في البعض الأحيان زخارف كتابية مثل التي تتواجد في قاعة الأختين، بالإضافة إلى الخامات التي تزين بنىقات العقود والأجزاء العلوية من الجدران كما استعملت المقرنصات لتكسية بطون القباب ففي قاعتي بني سراج والأختين تقوم قبابها المقرنصة على شكل نجمي ثماني الرؤوس وفي قاعة الملوك لقصر الأسود.¹

كما نجد عبارة "ولا غالب إلا الله" شعار بني نصر على جدران الحمراء وتمتد إلى ما لا نهاية متخذة أشكالاً وصور عديدة ، فهم بهذا الشعار يعظمون الله تعالى ويقولون له بالقدرة والغلبة وحده سبحانه وتعالى.² وقد جمعت الزخارف الخطية في العمارة الأندلسية بين الفائدة والجمال فكان لها دور كبير في المحافظة على الوحدة الثقافية الأهلية، وفي ضمان استمرار التراث الأندلسي وازدهاره، وقد أخذت الزخرفة الكتابية أشكالاً متعددة بين أبيات شعرية وأسماء من ساهموا في البناء وعبارات النصر والتمجيد للملوك والشعارات.³ وفضلاً عن الزخارف التي أشرنا إليها يمكن أن نضيف ألواناً لا حصر لها من النقوش الدقيقة ، تمتد على طول الأفاريز كحواشي للعقود والشمسيات والحنيات أو التجاعيد الهندسية فالانطباع الرائع الذي تثيره كل هذه الزخرفات يتحقق بقوة يخطف البصر من خلال الرسوم الرائعة وتوجد في كل جوانب القصر ثروة غنية من الألوان ويتميز بقوته وحيويته البالغة ، الأحمر أو الأزرق أو الذهبي ويسود في الوسط اللون البنفسجي والأرجواني وحتى ألواح الرخام البيضاء التي رصفت بها الأرض كانت منقوشة فيما يبدو.⁴

المطلب الثالث: مواد بناء العمارة النصرية في غرناطة

يمكن القول أن المواد الأساسية التي استعملت في البناء في تلك المرحلة من تاريخ الأندلس تنحصر في الطوب أو الطين والحجارة المكسرة والآجر وقلما نجد بناء يقوم بكامله على الحجارة المصقولة ذلك أن الحجارة المنحوتة لا تبرز إلا في القسم الخارجي من المداخل والواقع أن القراميد حلت مكان الحجارة في عملية البناء ، خصوصاً في القسم الخارجي منه وفي الأقسام التي تتطلب الحفاظ بدقة على استقامة خط البناء ، وتجدر الملاحظة إلى استعانة البنائين بميزان الزئبق بغية التأكد من توازي البناء ويستعان بالطين من الطوب لتسوية الخل، أما القباب فهي إجمالاً مداميك موادها من الحجارة المكسرة والآجر المهشم من

¹ - العامري محمد بشير راضي ، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي ، ط 1 ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2012، ص 67.

² - محمد عبد المنعم الجمل ، المرجع السابق ، ص 288.

³ - العامري محمد بشير راضي ، مرجع سابق ، ص 67.

⁴ - فون شاك ، الفن العربي في إسبانيا وصقلية ، تر: الطاهر أحمد مكي ، ط2، دار المعارف، القاهرة ، 1985م، ص 161.

الفصل الثاني : عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"

الطين واللجوء إلى هذا النوع من البناء قد يعكس الميل إلى السرعة في الإنجاز أو الميل إلى السرعة في الإنجاز أو الاقتصاد في النفقات¹.

الجص: وقد استعمل الفنان الناصري هذه المادة لتغليف جدران الحمراء و أعمدتها بمجموعة من الزخارف و الحلي الجميلة ، حيث كانت المادة الأساسية التي وظفها لخدمة أشكاله الهندسية و النباتية ، و إظهار براعته في رسم آيات الذكر الحكيم و أشعار السابقين من شعراء البلاط

القرميد: كان الفنان المسلم بحاجة ماسة لعازل طبيعي يستعمله في تغطية القاعات و البوائك التي كانت في الغالب منفصل عن بعضها البعض فاستعمل القرميد الفخاري مستعينا في ذلك بمادة الخشب والرصاص

الأفاريز : و هو عبارة عن ألواح جدارية مصنوعة من الطين الملون تطبق عليها الزخارف

الزجاج: حيث استخدم الزجاج في صناعة النوافذ و الشمسيات ليمح لضوء الصباح إلى الدخول في فضاءات الحمراء، و يتغلغل إلى أماكن لا تصلها الشمس و قد استوردت هذه المادة من بلاد الشام و مصر حيث كان الزجاج المعشق و الملون المادة المعروفة في تلك البلدان خاصة سوريا والصورة رقم سبعة تظهر مادة الزينة² بالإضافة إلى مواد أخرى مثل الزليج و المرمر و الذهب والنحاس و الصدف و الفخار لصناعة أثاث القصر و تزيينه، و في الغالب تقول أن تشييد الحمراء لم يكن يتلك الكلفة و الصعوبة فاهتم كل من تعاقب عليه على مواد بسيطة في تشييده إلا أن تلك المتعلقة بالزينة على قلنتها داخل القصر حيث كانت العمارة الناصرية هشة تعتمد على قوالب مواد محلية أثبتت القرون التي مضت على بنائها قوتها و صلابتها ،ذلك لأن الحقبة التاريخية التي تم خلالها بناء قصور الحمراء كانت تستدعي السرعة القصوى لإكمال البناء بسبب المتغيرات العسكرية المتلاحقة، إذا كان يجري صنع و زخرفة الأجزاء المعمارية كالأعمدة و تيجانها و السقوف من داخل الحمراء³.

¹- شكري يوسف فرحات : مرجع سابق ، ص ص 154، 155.

²- نفيدسة عبد القادر : مرجع سابق ، ص ص 204، 205.

³- حازم حساب محمد علي: المرجع السابق، ص 173.

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns at each corner, framing the central text.

خاتمة

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوعنا المتمثل في العمران في غرناطة في عهد محمد الخامس الغني بالله من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين ابن الخطيب نجد نتائج الدراسة تتمحور في :

-يعتبر كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة من المصادر المهمة في دراسة أحداث غرناطة آخر معاقل المسلمين وهذا راجع لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب الذي عايش أحداث الفترة التاريخية ويعتبر من المؤلفات الضخمة التي ألفت في عهد بنو الأحمر المعروف بعصر الازدهار الثقافي والحضاري لما يشتمل عليه من أخبار خاصة بمدينة غرناطة في عهد محمد الغني بالله .

فقد نقل لنا ابن الخطيب الموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي تملكه غرناطة ووصف لنا خصائصها الطبيعية وجمال تضاريسها فقد كانت أيام الدولة الإسلامية جنة من جنات الدنيا وذلك لوفرة خصبتها واعتدال جوها كما وصف لنا خصائصها البشرية حيث جمع تركيبها العرقي العرب والبربر واليهود والنصارى و المولودون و المدجنون .

-كما أمدنا بمعلومات قيمة عن الناحية الاجتماعية ومظاهرها فقد أشار إلى عادات وتقاليدهم أهل غرناطة وأخلاقهم المدنية وكشف لنا أنواع الأطعمة والأشربة التي عرفته مملكة غرناطة، ونقل لنا صورة المرأة في القرن الثامن الهجري حول جمالهن ولباسهن وحليهن وأخلاقهن وأشغالهن في هذه المملكة.

- كما نقل لنا أوضاع غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس، سكنها بنو نصر وصارت مملكتهم والملاذ الأخير للمسلمين الذين جاهدوا في سبيل بقاء هذا الشجر الإسلامي، وبلغت ذروة قوتها في عهد السلطان أبو الوليد إسماعيل وولده أبي الحجاج يوسف.

-كما وصف لنا شهامة واعتدال محمد الخامس الغني بالله وفترة حكمه التي وصفها بالعصر الذهبي حيث ظهر بمظهر القوة التي لم تعرفه الأندلس لفترة ، فقد ازدهرت الحياة الاقتصادية بغرناطة بالرغم من الحروب الدائمة مع الاسبان، كما أصبحت تعد غرناطة قطبا هاما ومركزا لشتى أنواع العلوم والمعارف، حيث برز فيها "لسان الدين ابن الخطيب".

حيث نجد أن غرناطة في تلك الفترة حققت تطور فكري وحضاري واقتصادي رغم الأوضاع السياسية التي مرت بها فقد كانت مركز التطور في جميع المجالات وقد أصبحت عاصمة الأندلس الإسلامية

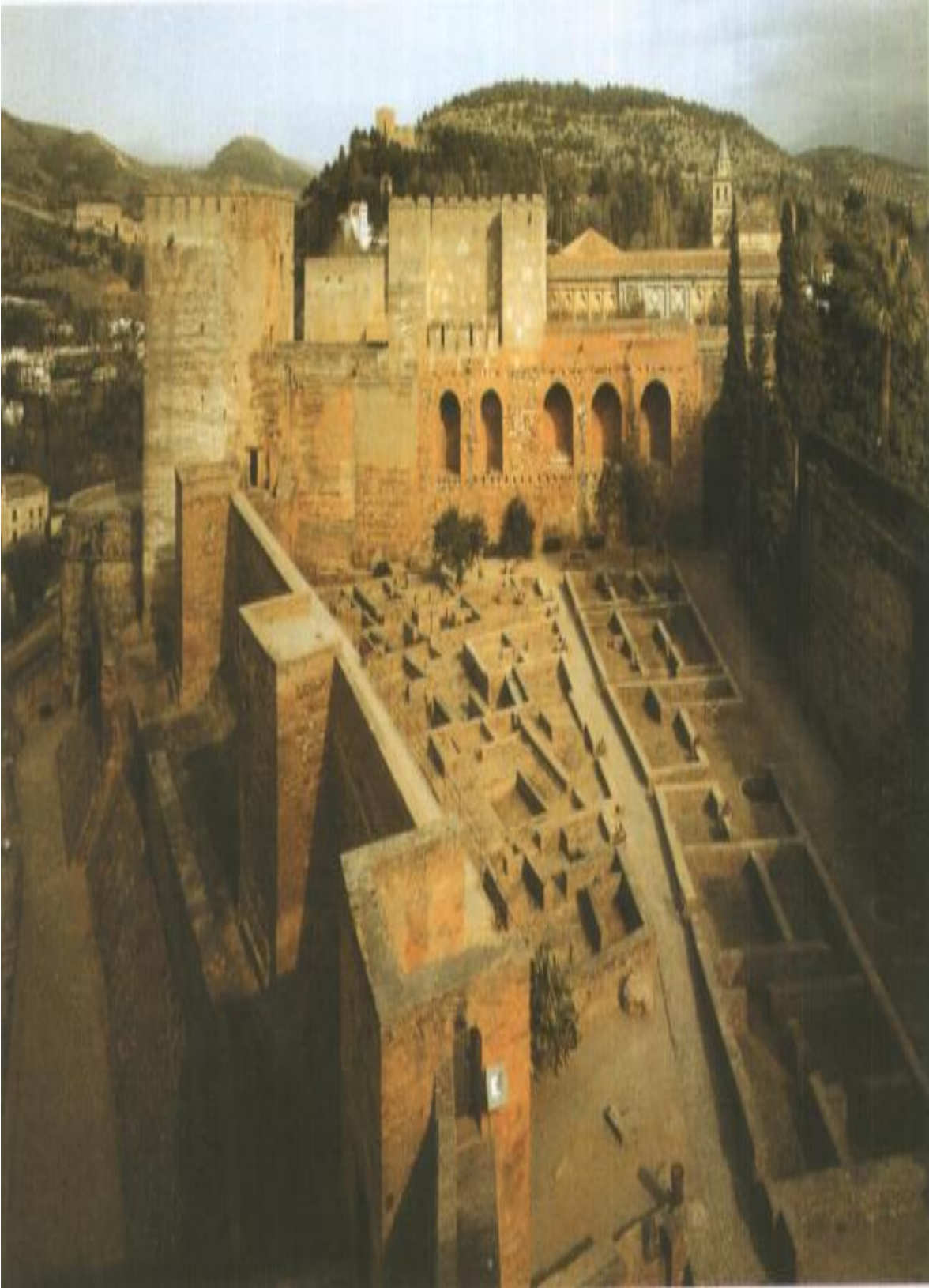
وخاصة عهد بنو الأحمر فقد شهدت غرناطة في عهد محمد الخامس نهضة عمرانية شاملة لم تشهدها من قبل .

-وقد عبر عمران غرناطة عن مدى عظمة التطور الحضاري في ظل حكم بنو الأحمر وفترة حكم السلطان محمد الخامس الغني بالله ، كما برز الفن المعماري في أبهى حلتته حيث عرفت منشآت معمارية في غاية الروعة وقد تنامي عمران غرناطة بسرعة فائقة وكان على أحسن صورة متمثلا في القصور والحصون المزخرفة التي تميزت بطابع خاص ويمكن تقسيمها إلى عمارة مدنية ودينية وعسكرية وخير دليل قصر الحمراء إذ يعتبر من أروع وأجمل القصور في تاريخ العمارة الإسلامية

ويرجع الفضل إلى السلطان محمد الخامس الغني بالله الذي كان له دور كبير في بناء أجنحة قصر الحمراء والإبداع في تنوع الأشكال الزخرفية واختلاف أنماط البناء التي كانت تعبر عن قوة الدولة النصرية في آخر مراحلها حيث استطاعت أن تخلق طرازا معماريا فريدا مازال شاهد عن عظمة الإسلام في الأندلس وهذا ما أشاد به لسان الدين ابن الخطيب في كتابه الإحاطة.

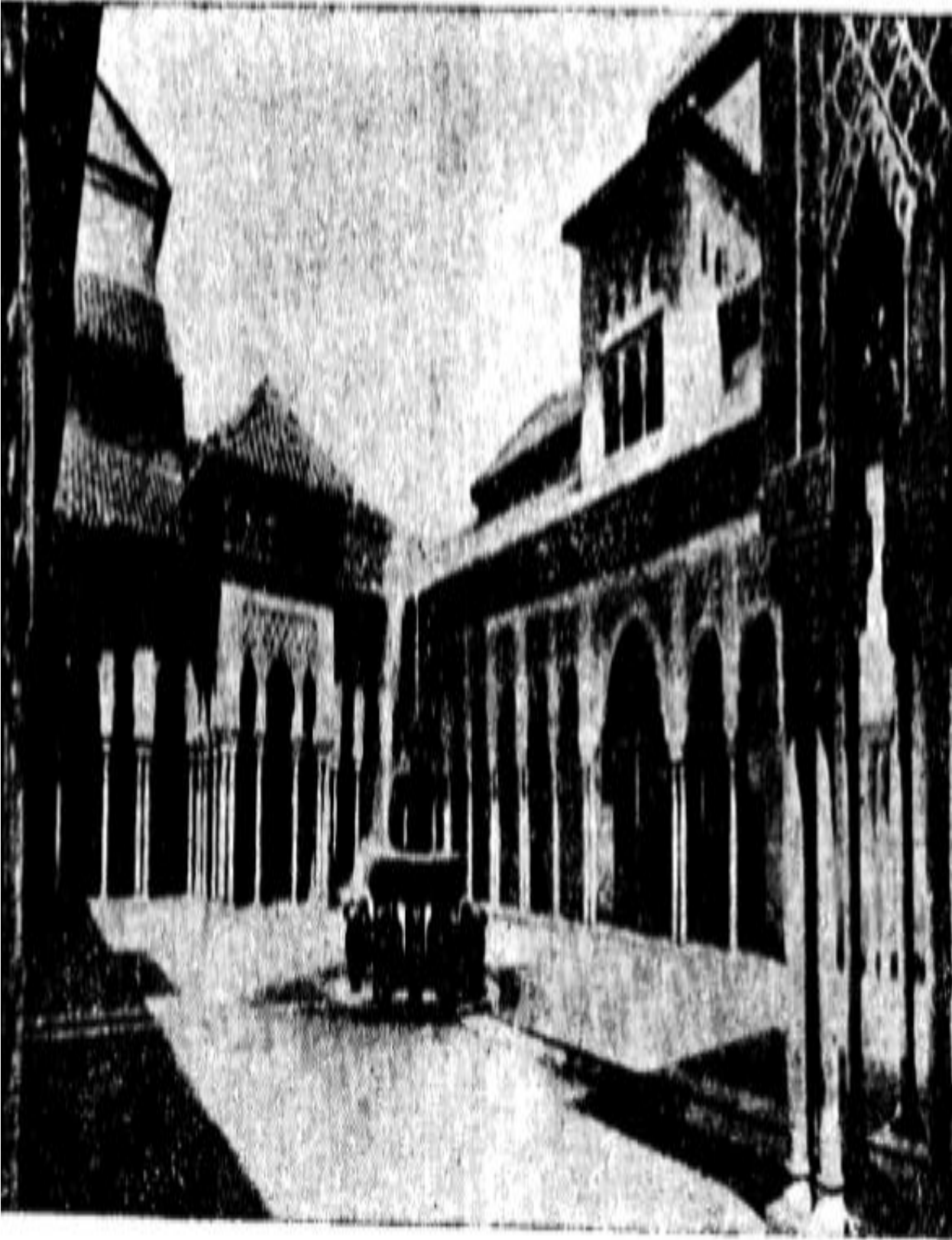
الملاحق

الملحق (01): القسبة الحمراء¹



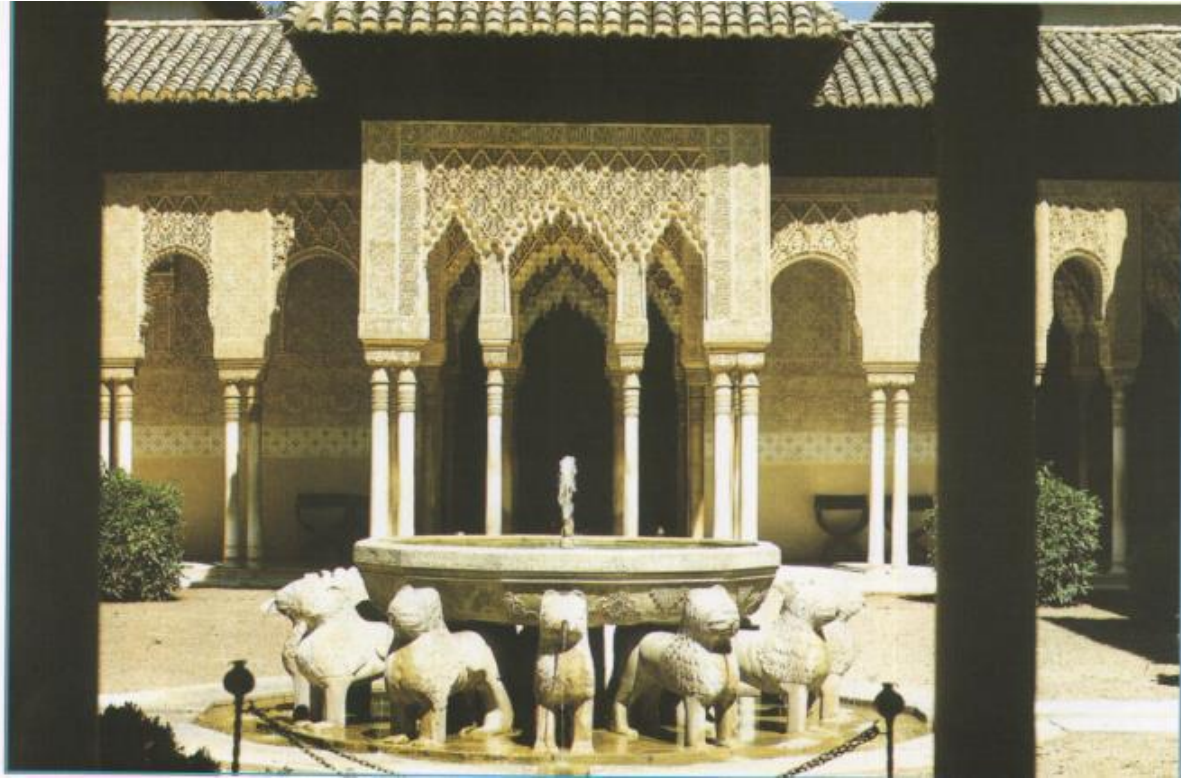
¹ - طارق السويدان: الأندلس (التاريخ المصور)، مطابع المجموعة الدولية، الكويت، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، ط01، 2005م، 473.

الملحق(02): بهو السباع يحيط به مجموعة من القاعات الهامة¹



¹ - محمد عبد الله عنان: الآثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مرجع سابق، ص 94.

الملحق(03): منظر لساحة الأسود(قصر الحمراء¹)



الملحق(04): منظر عام لفناء الأسود وناقورته².

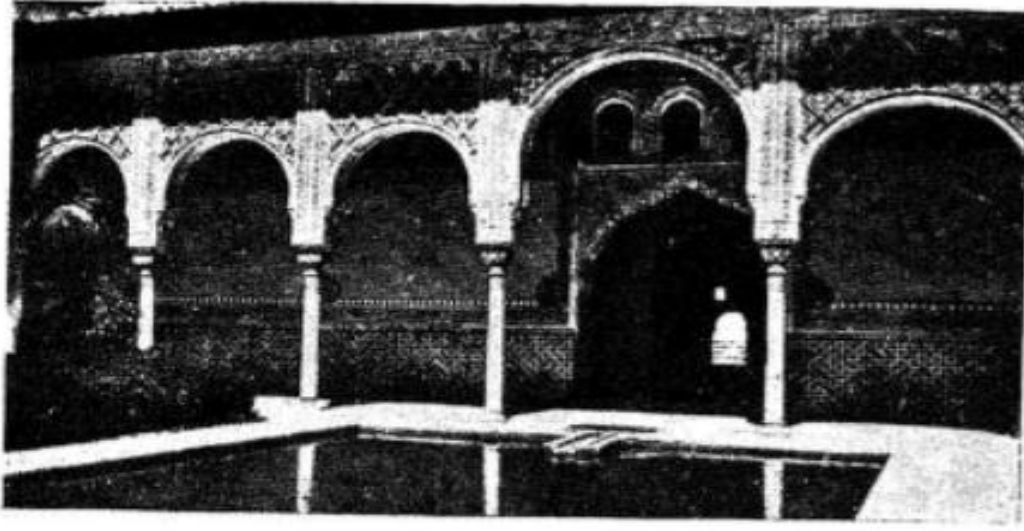


الحمراء . منظر عام لفناء الأسود وناقورته

¹ - طارق السويدان، مرجع السابق، ص 473

² - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 217.

الملحق (05): منظر لساحة البركة وقاعة الأخنتين¹



الحمرام . ساحة البركة (أو قناء الريحان)



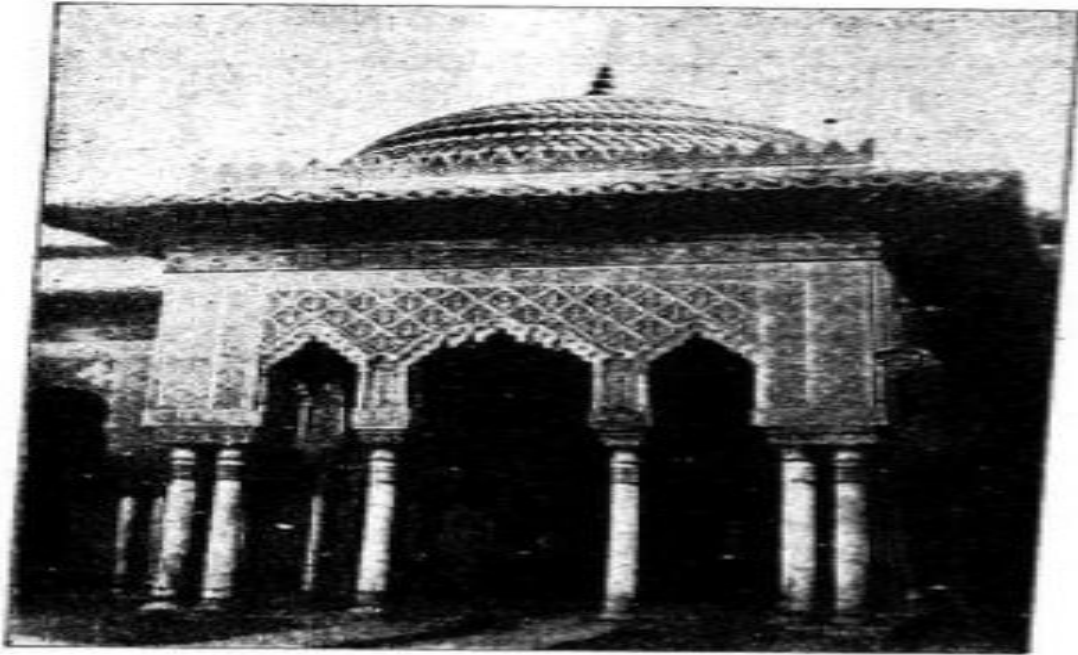
الحمرام .
قاعة الأخنتين

¹ - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 201.

الملحق (06): اللوح الرخامي ذكرى إنشاء مارستان غرناطة¹



الملحق (07): منظر لقبة فناء الأسود²

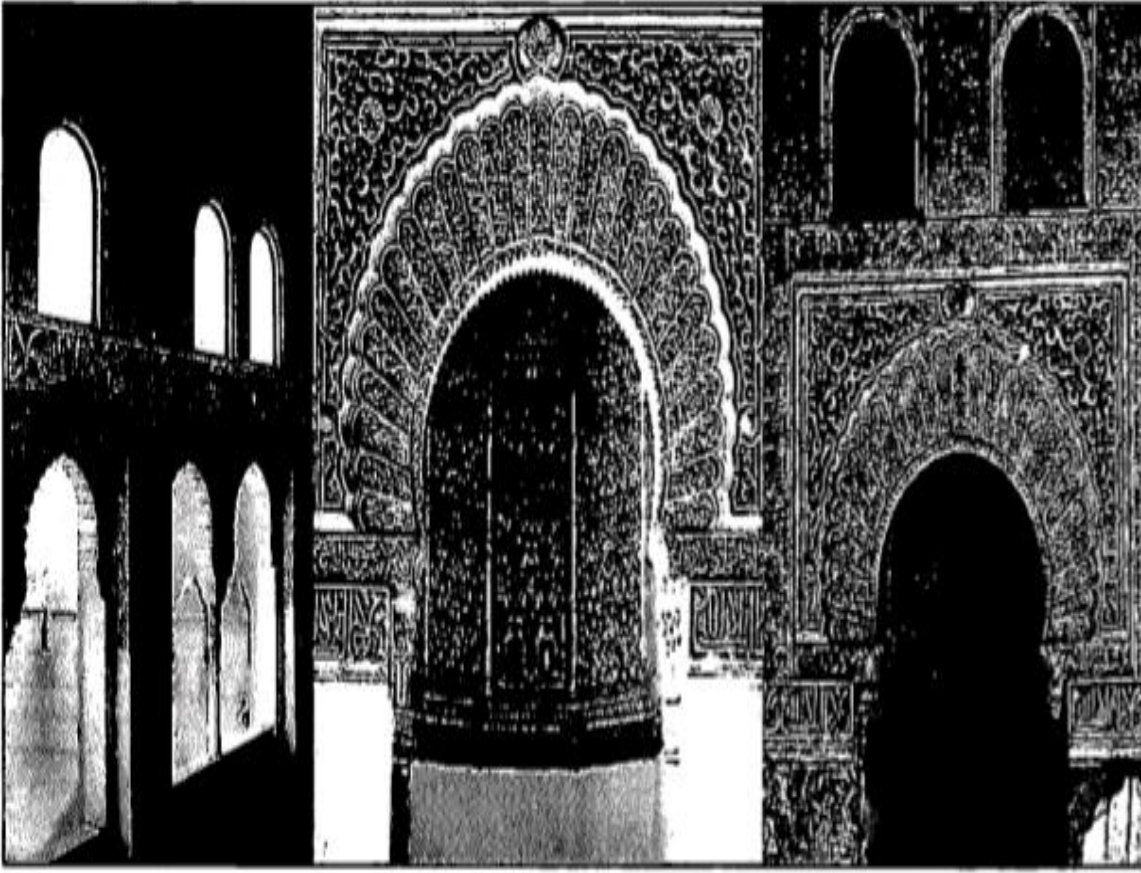


الحمام - قبة فناء الأسود الوسطى المواجهة للنافورة

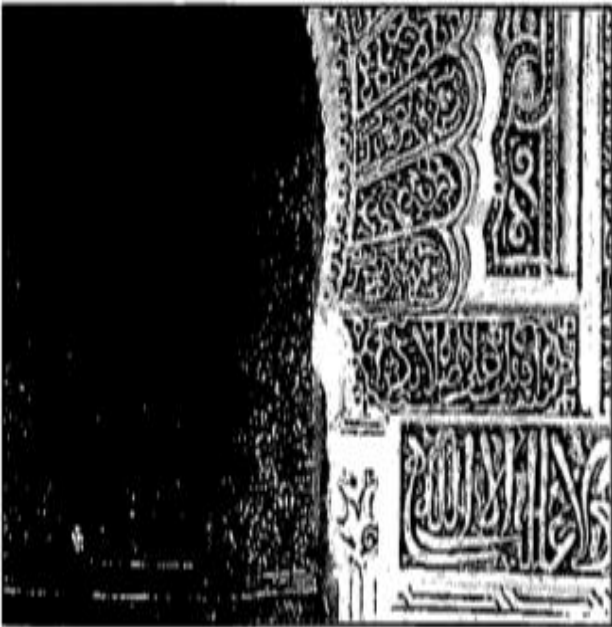
¹ - أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مرجع سابق ص 189.

² - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 207.

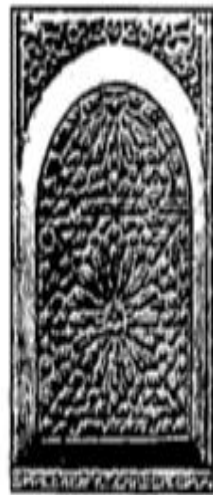
الملحق (08): مناظر لمصلى المشور¹.



6

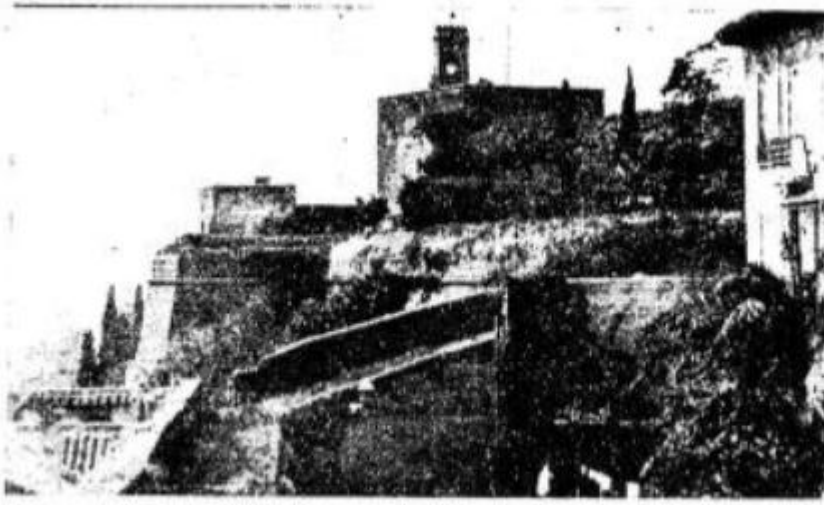


5



¹ - باسيلييو بابون مالدونادو: عمارة المساجد في الأندلس غرناطة وباقي شبه الجزيرة الإيبيرية، مرجع سابق، ص 132.

الملحق (09): منظر لبرج الحراسة في قصر الحمراء



الحمراء . برج الحراسة أعظم أبراج القصبة

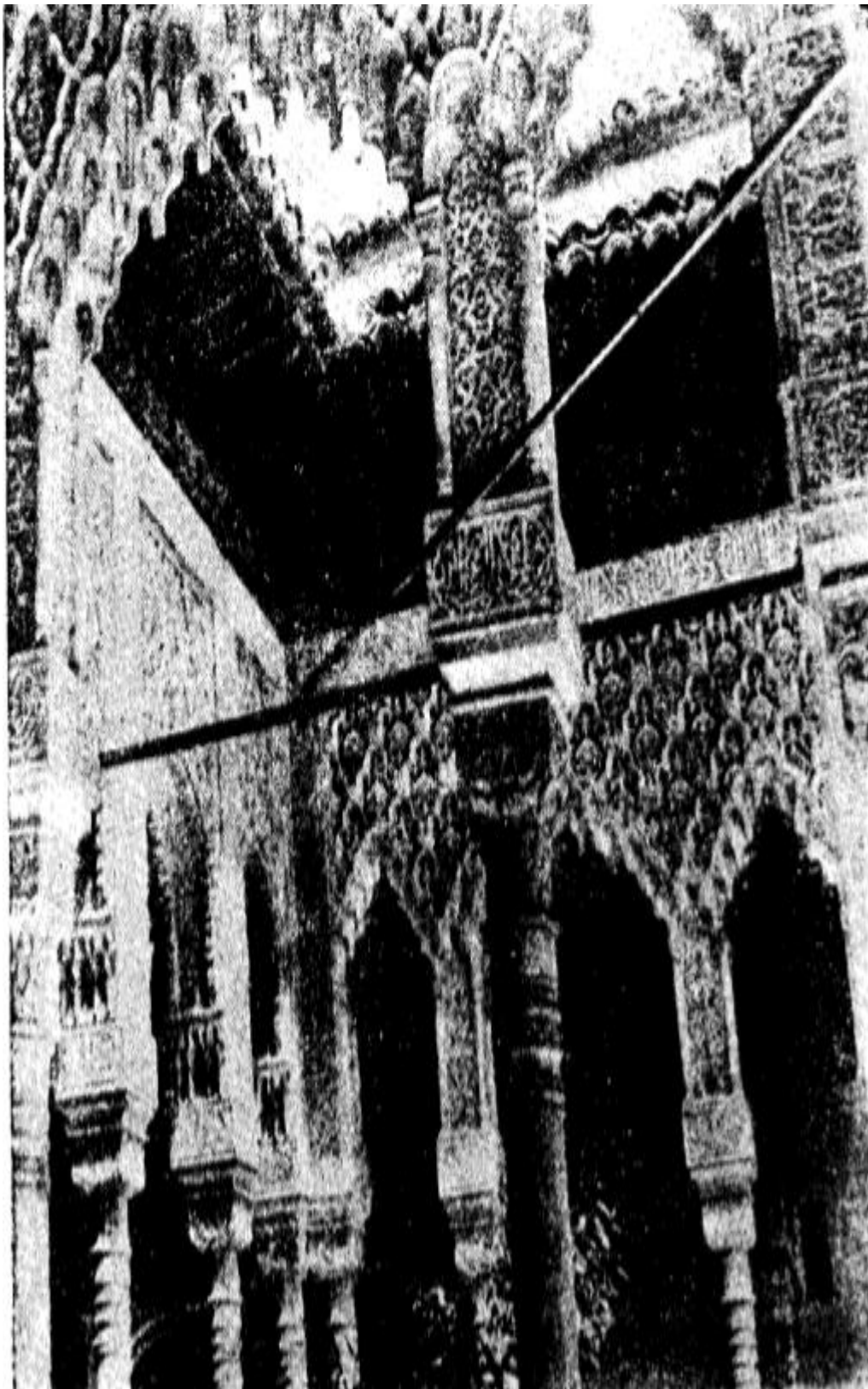
الملحق (10): منظر لعقود فناء الأسود¹



الحمراء . بجانب من عقود فناء الأسود

¹ - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص ص 193، 209.

الملحق (11): منظر لبعض الزخرفات الجصية المختلفة : النباتية والهندسية والكتابية والمقرصنات في الأروقة المحيطة بيهو السباع¹.



¹ - محمد عبد الله عنان : مرجع سابق، ص 95.

الملحق (12): منظر للمقرنصات في قصر الحمراء



الملحق (13): منظر للنقوش التي تحمل شعار مملكة بني الأحمر¹



¹ - لعلو سميهان : القيم الجمالية في الزخرفة الإسلامية بالعمارة الغرناطية ، مجلة الرصد العلمي ، مج 08، د ع ، جامعة وهران 01، 08ديسمبر 2021 م، ص 26.

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns in each corner, framing the central text.

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أولاً: المصادر

- ابن الأحمر الغرناطي: نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان الداية، دار الثقافة القاهرة، 1982م.
- ابن الخطيب: الكتبية الكامنة في من لقيته في الأندلس من شعراء المائة الثامنة، تح: إحسان عباس دار الثقافة.
- ابن الخطيب: اللحة البدرية في الدولة النصرية، تص و فه ، محت الدين ابن الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1347.
- ابن الخطيب: روضة التعريف بالحب الشريف، تح: محمد الكتاني، دار الثقافة، بيروت، 1970
- ابن خطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، مر بوزياني الدراجي ، ط1، دار الأمل، الجزائر، 2009م.
- ابن خلدون: العبر في ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح : أبو صهيبي الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض ، دت ، ج4.
- ابن خلدون :المقدمة، مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت، 1971 .
- ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تح :شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، 1949م.
- ابن فضل الله العمري : وصف أفريقية والمغرب والأندلس ، تح حسن حسني عبد الوهاب ، مطبعة النهضة ، تونس ، 1339هـ.
- ابن منظور ، لسان العرب ، مج 4، ط1، دار صادر بيروت ، 1994م.
- أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح الدكتور إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1928م.
- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (1422هـ - 2002م).
- الأنباري: نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة، 1967م
- بن بطوطة: رحلة بن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1 ، تح: محمد عبد المنعم العريان، ومصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م .

-الحميري :الروض المعطار في خبر الأقطار، تح :إحسان عباس، ط7 ، مطابع هيدلبرغ، بيروت، 1914.

-القلقشندي :صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1911 ، ج 5،
-المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض،تح مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1939م.

ثانيا: المراجع

أ/ باللغة العربية:

-احمد البدوي محمد الشريعي، دراسات في جغرافية المدن، دار الفكر العربي، د-ط، القاهرة، 1995م .
-أحمد حسن مسبح : لسان الدين ابن خطيب عصره بينته حياته وأثاره، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م،

-أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012م
-أحمد محمد طوخي : مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1997م.

-أحمد مختار العبادي:درسات في تاريخ المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية ، بيروت، دس.
-أسعد حومد : محنة العرب في الأندلس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2، 1977م.
-ألبرت كالفرت :غرناطة وقصر الحمراء وصف لمدينة غرناطة القديمة وقصورها"، تر :أحمد ابيش ط1، دار الكتب، الإمارات، 2020.

-أنور محمود الزناتي : مصادر تاريخ المغرب والأندلس (المصادر، المراجع، الدوريات) ، ط 1، دار سحر للنشر، 2008م.

-باسيليو بابون مالدوناندو: العمارة الإسلامية في الأندلس عمارة القصور ، تر: على ابراهيم منوفي، تر: محمد حمزة الحداد ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، مج 3، 2010م.

-باسيليو بابون مالدوناندو: عمارة المساجد في الأندلس غرناطة وباقي شبه الجزيرة الإيبيرية ، تر: على ابراهيم منوفي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث كلمة ، الإمارات ، ط1، 1432هـ - 2011م.

قائمة المصادر و المراجع

- باسيليو بابون مالدونادو: الفن الإسلامي في الأندلس، تر: على ابراهيم منوفي، المجلس الأعلى للثقافة ، ط2، القاهرة، 2002م.
- توفيق محاسنة، الحياة السياسية في دولة بني الأحمر، دار الثقافة، عمان، 1998م.
- جودت الركابي: في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة، 1960 .
- حازم جساب محمد علي ، جمالية التصميم الزخرفي الأندلسي لقصور الحمراء في غرناطة ،دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ، 2014م.
- حسن الباشا: الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية، 1990م.
- حسين مؤنس :تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط 2، مكتبة مدبولي، 1919.
- خاشع المعاضيدي :تاريخ الدول العربية في الأندلس (92-897هـ/711-1492م)، منشورات جامعة بغداد، بغداد، 1988.
- خالد محمد مبارك القادسي : تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس ، دار الثقافة ، القاهرة، دس.
- راغب السرجاني : قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط ،ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
- رنا إسماعيل اليسير، تاريخ العمارة بين القديم والحديث، إثراء للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- زكي عبد الرحمان : غرناطة وأثارها الفاتنة، شركة نوابغ الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011.
- سامية مصطفى محمد مسعد :الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصري المرابطين والموحدين من 484 إلى 620هـ، ط 1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2003 م .
- سلمى خضراء الجيوسي : الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، ج2، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1997م.
- شكيب أرسلان : الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، فاس ط1، 1355هـ، 1936م.
- شكيب أرسلان :خلاصة تاريخ الأندلس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1911 .
- طارق السويدان :الأندلس (التاريخ المصور)، مطابع المجموعة الدولية، الكويت، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، ط01، 2005م.

- العامري محمد بشير راضي ، دراسات حضارية في التاريخ الأندلسي ، ط 1 ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2012 .
- عبد الحكيم الذنون : آفاق غرناطة، ط1 ، دار المعرفة، 1944 ، ج2.
- عبد العاصي محمد الورفلي : أوارق أندلسية ، دار الكتب الوطنية، بنغازي ، ط1، 1990م .
- عبد العزيز سالم : المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، د ط، 1986.
- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة، بيروت، دط، 1969م.
- عبد الواحد ذنون طه : دراسات في الحضارة الأندلس وتاريخها ، دار المدار الإسلامي ، بيروت، ط1 2004م.
- عدنان فائق عنبتاوي ، حكايتنا في الأندلس ،دار المؤسسة العربية ، بيروت ، ط 1، 1989م.
- عصام الدين محمد علي، دور التشريعات المصرية في الحفاظ على التراث العمراني واستثماره سياحيا، جامعة أسيوط، كلية الهندسة، دع، د س ن.
- علي اسلام الباشا : إسبانيا والأندلس، مطبعة مصر، مصر ، 1951م.
- علي بن سالم الورداني : الرحلة الأندلسية ، الدار التونسية للنشر ، رادس، دط، 1984م.
- علي محمد النقراط :ابن الجياب الغرناطي، الدار الجماهيرية، طرابلس، 2003.
- عمر توفيق إبراهيم: صورة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس للهجر (سياسيا واجتماعيا وثقافيا)، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.
- فهمي عبد الغنى المصري وآخرون : تاريخ المغرب والأندلس ، دار التعليم الجامعي، مصر، 2024م.
- فون شاك ، الفن العربي في إسبانيا وصقلية ، تر: الطاهر أحمد مكي، ط2، دار المعارف، القاهرة ، 1985م.
- كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام ، دار النهضة والشرق، القاهرة ، ط1، 2000م.

- محمد بشير حسن راضي العامري: مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر ، بغداد، ط1، 2012م.
- محمد حسن العيدروس : العصر الأندلسي العمارة والفنون الأندلسية في غرناطة طليطلة وقرطبة ، دار العيدروس للكتاب الحديث ، القاهرة ط1، 2011.
- محمد حسن العيدروس :العصر الأندلسي "عصر النهضة في الأندلس الحياة الاقتصادية في اسبانيا الإسلامية، ط 1. دار العيدروس للكتاب الحديث، القاهرة، 2011م.
- محمد زين العابدين رستم: بيتوتات العلم والحديث في الأندلس ،ط1،دار الحزم ،بيروت،2009.
- محمد عبد العزيز مرزوق : قصر الحمراء ، دار القلم ، الأردن ، 1963م.
- محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ، مكتبة خزناسي ، القاهرة ، ط2، 1997م.
- محمد عبد الله عنان :لسان الدين ابن الخطيب " حياته وتراثه الفكري"، مكتبة الخانجي، القاهرة، د س.
- محمد عبد المنعم الجمل ، قصور الحمراء ،تقديم إسماعيل سراج الدين ، ديوان العمارة و النقوش العربية، د س.
- محمد عبده حتاملة :الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة، مطابع الدستور التجارية، عمان،2000.
- محمد كردي علي : غابر الأندلس وحاضرها ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة، 2014م.
- محمد لبيب البتوني : رحلة الأندلس ، مطبعة المعارف، القاهرة ، ط 1، 1905 م .
- مريم قاسم الطويل : مملكة غرناطة في عهد زيري البربر (403-473هـ/1090-1012م)،ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت، 1994.
- نوفل نعمة الله : صنهاجة الطرب في تقدمات العرب ، مكتبة الأمير خان ،سوريا ، 1899 م .
- يوسف شكري فرحات: غرناطة في ظل بني الأحمر (دراسة حضارية)، ط1، دار الجيل، بيروت،(1413هـ-1993م).

ب/ باللغة الأجنبية:

-M .obay، **Droit Administratif**، précis Dalloz ،E 1، 1973،

-Saidoni m- **éléments d'introduction à l'urbanisme**, histoire, méthodologie, règlementation, Edition casbah, Alger, 2000

ثالثا: المذكرات

-حدود داوود الحسين،:لسان الدين ابن الخطيب " دراسة تاريخية " مذكرة لنيل شهادة الماجستير، اشراف :ادريس صالح الحرير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بنغازي، ليبيا، (د.س).
زرقى نبيلة ، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلسي(القرن 7-8هـ / 13-14م) دراسة تحليلية مقارنة ، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، قسم الآثار ،جامعة تلمسان ، الجزائر، 2014،2015م.

-سفيان صرصاق :الحياة العلمية بغرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لذي الوا زرتين لسان الدين بن الخطيب ما بين القرن 8-5هـ ، 11-14هـ ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط ، إشراف عبد العزيز، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر ، 2011م.

-عبد القادر قرمان، عمران وعمارة مدينة معسكر في العهد العثماني دراسة أثرية عمرانية ومعمارية، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، العلوم في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر ، 2014-2015م.

-عبد بن محمد عواجي عبد القهار ، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية (635-897هـ)، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2005م.

-نفيدسة عبد القادر : جماليات العمارة الأندلسية قصر الحمراء أنموذجا، أطروحة دكتوراه، تخصص أدب وحضارة عربية، قسم الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة مستغانم ، السنة الجامعية 2023-2024، .
-هبة محمد عبده الحال : النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة(635-798هـ/1638-1492 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي ، إشراف عفيفي محمود إبراهيم كلية الآداب قسم التاريخ ، جامعة بنها، 2013م .

رابعاً :مجلات

- ابراهيم أبوا ارميس: قصبة المدينة الحمراء بغرناطة (دراسة تاريخية معمارية)، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مج 10، ع1، قسم تعليم الاجتماعيات ، كلية العلوم التربوية ، فلسطين، 2024م.
- بليغ محمد توفيق: غرناطة وقصر الحمراء في مقدمة تاريخ المدينة والأهمية المعمارية للقصر، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية التاريخية المصرية ، العدد 1، المجلد 16.
- خديجة خيري : دور الوقف الإسلامي في تفعيل الرعاية الصحية (البيمارستانات في المغرب والأندلس) ، مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ع 65، مركز جيل البحث العلمي، لبنان ، جوان 2020.
- ذاكر عبد اللطيف عبوش: لسان الدين الخطيب وصوره البلاغية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم والتربوية والإنسانية، ع43، جامعة بابل ، 2019م.
- شامخ زكريا علاونه : بيمارستان مدينة غرناطة دراسة تاريخية ، مجلة عصور ، ع 37، أكتوبر ،ديسمبر 2017م.
- شيماء شاكرو: فنون بلاد الأندلس المتأثرة بالفنون الإسلامية مصدرا لاستحداث تصميم طباعة المعلقات النسيجية، مجلة العمارة والفنون، كلية الفنون التطبيقية، قسم طباعة المنسوجات، جامعة حلوان، العدد7.
- صقر محمد عبد الحميد عيسى ، حمراء غرناطة و تطورها بعد ضياع الأندلس ، نادي أيها الأدبي، ع13.
- علي كاظم محمد علي المصلاوي :بنية الخبر في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب 776هـ، مجلة الباحث ،م 44، ع2، ج1، أبريل 2025.
- لحو اسمهان : القيم الجمالية في الزخرفة الإسلامية بالعمارة الغرناطية ، مجلة الرصد العلمي ، مج 08، د ع، جامعة وهران 01، 08ديسمبر 2021 م.

قائمة المصادر و المراجع

-لحلو اسمهان ومحمد مرتاض: البعد الديني في شعر لسان الدين بن الخطيب، الفضاء المغربي م2، ع4، جامعة تلمسان،الجزائر،2018م.

-محمد سيف الإسلام بوفلاحة إسهامات علماء الأندلس في خدمة التاريخ والتأريخ، مجلة مدارات تاريخية، م7 ، ع1، مارس 2011.

-مريم قاسم : لسان الدين بن الخطيب موسوعة حضارية ، مجلة عصور، ع5/4،جامعة وهران، الجزائر، ديسمبر.

-نادر إبراهيم اسماعيل : دراسة عناصر الإبداع المعماري في تصميم مفردات العمارة الإسلامية بقصر الحمراء بالأندلس مملكة بني نصر، مجلة العلوم الهندسية ، كلية الهندسة، جامعة أسيوط ، مج 50، ع 3، ماي 2022.

-وداد تلج كردي الحمداني ، سياسة الملك الصغير أبو عبد الله محمد بن الحسن وأثرها في سقوط غرناطة ، مجلة سامراء ، م 2، ع 21، جامعة تكريت ، العراق، 2010م.

-يوسف علي الطويل : لسان الدين ابن الخطيب وكتاب الإحاطة ، مجلة عصور ، ع 5/4، جامعة وهران ، الجزائر ، ديسمبر 2003م / جوان 2004م.

خامسا: الحوليات

-رابع عبدالله المغراوي: تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 20، الكويت.

-محمد سيف الإسلام بوفلاحة : مصادر ابن الخطيب في كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة وأثرها على منهجه، حوليات جامعة قلمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية ، ع 25،ديسمبر.

سادسا: الملتقيات والندوات

-عبد الرحمان راشد الحقان: الفقه في حياة ومؤلفات لسان بن الخطيب ، بحث مقدم لندوة لسان الدين ابن الخطيب مجدد فكر التسامح و حوار الحضارات ،فاس، (15-16 نوفمبر 2013).

قائمة المصادر و المراجع

-محمد بنشريفة :من أعلام أواسط العصر الغرناطي، بحوث الملتقى الاسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية، غرناطة.

-مشاري بن عبد الله النعيم، أبحاث وتراث :دراسات في التراث العربي، ملتقى التراث العمراني الوطني الأول، الهيئة العليا.

سابعاً: المعاجم

-ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تح : عبد السلام هارون ، دط، دار الفكر، بيروت، ج 4، 1979م

-ياقوت الحموي :معجم البلدان، . ط 1 ، دار صادر، بيروت، 1991 م.

A decorative rectangular border with ornate floral and scrollwork patterns in each corner, framing the central text.

الفهرس

فهرس المحتويات:

.....	تشكرات
.....	اهداء
.....	قائمة المختصرات
01	مقدمة
الفصل الأول: التعريف بمملكة غرناطة (المجال والزمان) من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة	
للسان الدين بن الخطيب	
06	المبحث الأول: التعريف بلسان ابن الخطيب وكتابه الإحاطة
06	المطلب الأول: ابن الخطيب 713-776هـ/1313-1374م (اسمه ونسبه، نشأته ...)
06	1- اسمه ونسبه
07	2- نشأته
08	3- شيوخه وتلاميذه
09	4- محنته ووفاته
09	5- آثاره العلمية وأهم مؤلفاته
10	المطلب الثاني: دراسة كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة
10	1- التعريف بالكتاب
11	2- تاريخ وطريقة تدوين لسان الدين لكتاب الإحاطة
12	المطلب الثالث: أهمية الكتاب في الدراسة
13	المبحث الثاني: غرناطة جغرافيا
13	المطلب الأول: الإطار الجغرافي لمملكة غرناطة
13	1- تسمية غرناطة
14	2- الموقع الجغرافي
15	المطلب الثاني: الخصائص الجغرافية لغرناطة
17	المطلب الثالث : الخصائص البشرية لغرناطة
17	1/ التركيب العرقي
19	2- العادات والتقاليد
20	المبحث الثالث : أوضاع غرناطة في عهد محمد الخامس
20	المطلب الأول: التعريف بمحمد الخامس
22	المطلب الثاني: الأوضاع السياسية

24	المطلب الثالث: الأوضاع الاقتصادية والفكرية العلمية.....
24	1-الأوضاع الاقتصادية.....
25	2-الأوضاع الفكرية والعلمية.....
	الفصل الثاني: عمران غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة"
28	المبحث الأول : تطور غرناطة العمراني عبر العصور.....
28	المطلب الأول: مفهوم العمران.....
30	المطلب الثاني: مراحل تطور العمران في غرناطة.
33	المبحث الثاني: المنشآت العمرانية لغرناطة في عهد محمد الخامس من خلال الإحاطة.....
33	المطلب الأول: قصر الحمراء.....
37	المطلب الثاني: بيمارستان (مستشفى) غرناطة.....
39	المطلب الثالث : المنشآت الدينية والعسكرية.....
43	المبحث الثالث: مظاهر العمارة النصرية في غرناطة في عهد محمد الخامس من خلال الإحاطة.....
43	المطلب الأول: أنماط العمارة النصرية في غرناطة.....
45	المطلب الثاني : خصائص العمارة النصرية في غرناطة.....
47	المطلب الثالث: مواد بناء العمارة النصرية في غرناطة.....
50	خاتمة.....
53	الملاحق.....
63	قائمة المصادر و المراجع.....
73	الفهرس.....

ملخص الدراسة:

تناولنا في هذه الدراسة موضوع عمران مدينة غرناطة في عصر السلطان محمد الخامس من خلال كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" للسان الدين بن الخطيب، وذلك من خلال الوقوف على مظاهر التطور العمراني الذي شهدته المدينة خلال هذه المرحلة، والتعرف على أبرز المنشآت التي شيدت أو طورت في عهد السلطان محمد الخامس. ولتحقيق ذلك، تم التعريف بمدينة غرناطة من حيث موقعها الجغرافي وخصائصها البشرية، إلى جانب دراسة الظروف السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية التي أحاطت بها خلال عهد محمد الخامس. كما تناولت الدراسة كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" ومؤلفه لسان الدين بن الخطيب باعتباره مصدرا مهما في رصد جوانب من تاريخ غرناطة وعمرانها. وركزت الدراسة على أهم المنشآت العمرانية التي عرفتھا المدينة في هذه الفترة، وفي مقدمتها قصر الحمراء وبيمارستان غرناطة، فضلا عن المنشآت الدينية والعسكرية وما شهدته من أعمال بناء وتجديد وتحصين. كما بحثت في خصائص العمارة وما تميزت به من تنوع في العناصر المعمارية والزخرفية، كالقباب والأقواس والأعمدة والحدائق والبرك والنوافير، إلى جانب الزخارف النباتية والهندسية والكتابية والمقرنصات. وخلصنا في هذه الدراسة إلى أن عمران غرناطة في عهد محمد الخامس جسد جانبا مهما من مظاهر الازدهار الحضاري والفني للمملكة النصرية، وأن المنشآت التي أنجزت أو طورت خلال عهده عكست مستوى متقدما من الإبداع المعماري والزخرفي، كما تبرز معطيات كتاب "الإحاطة" أهمية هذا المصدر في دراسة التاريخ العمراني لغرناطة والكشف عن بعض مظاهر ازدهارها الحضاري.

الكلمات المفتاحية: غرناطة، محمد الخامس، لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، العمران.

Summary:

This study examines the urban development of Granada during the reign of Sultan Muhammad V through Ibn al-Khatib's Al-Ihata fi Akhbar Gharnata. It explores the main manifestations of urban development during this period and identifies the most prominent structures constructed or developed under Muhammad V. The study also examines Granada's geographical and demographic characteristics, as well as the political, economic, scientific, and intellectual conditions of the period. Particular attention is given to Al-Ihata and its author as an important source for studying Granada's history and urban development. The study focuses on major urban structures, particularly the Alhambra Palace and the Granada Maristan, in addition to religious and military buildings and their construction, renovation, and fortification. It also highlights the diversity of architectural and decorative elements, including domes, arches, columns, gardens, pools, fountains, vegetal and geometric ornamentation, inscriptions, and muqarnas. The study concludes that Granada's urban development under Muhammad V reflected an important aspect of the cultural and artistic prosperity of the Nasrid Kingdom and demonstrated a high level of architectural and decorative creativity. It also confirms the importance of Al-Ihata fi Akhbar Gharnata as a source for studying Granada's urban history and its cultural prosperity.

Keywords: Granada; Muhammad V; Ibn al-Khatib; Al-Ihata fi Akhbar Gharnata; Urban Development.